الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة تلمسان
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي
تخصص : حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر الموسومة ب:

2013
Facult

القيم الثقافية
و
الحضارية للمسجد

من إعداد الطالبة:
دهنـــون حليمة

تحت إشراف:
أ.د العرابي لخضر

السنة الجامعية 1433/1432هـ 2012/2011م

٣٨٥ . ٩٤٥ . 54
٥١

شكر وتقدير

لله الحمد والشكر أوّلا و آخرا وبعد:

انطلاقا من قوله صلّى الله عليه وسلم: " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " :

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أعانني من قريب أو من بعيد لإتمام هذا العمل ، كما أهديه إلى كل من لديه نية صادقة في استرجاع قيمنا العربية الإسلامية الحضارية.

حليمة حمدون

مقدمة

مقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، والصّلاة والسّلام على نبي الهدى ومعلم البشرية المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

كل من اطّلع على الكتب المؤلفة حول الحضارة العربية الإسلامية يجد أنّها غنية بالمواضيع التي تستحق البحث والدراسة،خاصة تلك المتعلقة بالعوامل والأسباب التي أدت إلى قيام حضارة راقية في فترة قياسية . لذلك جاء هذا البحث ليكشف النقاب عن عامل مهم من هذه العوامل، وغني بأسباب قيام الحضارة العربية الإسلامية في آن واحد، إنه **المسجد** .

وعليه جاءت المذكرة بعنوان " ***القيم الثقافية والحضارية للمسجد*** " قاصدين بذلك الإبانة والإفصاح والتذكير والإيضاح لدور المسجد في المجتمع المسلم.

وقد قمنا بمسح شامل للموضوع لأنه شاسع ويحتاج لوقت أطول ممّا خصّص لنا في انجازه، وركزنا فيه على الجانب الثقافي العلمي والحضاري المعماري للمسجد.

يقوم منهج البحث على الوصف والتحليل للمراجع التي تمّ الحصول عليها، وعلى رأسها " مكانة المسجد ورسالته " لمنصور الرفاعي عبيد، و"المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي" لعلي عبد الحليم محمود،هذا في الجانب الثقافي والعلمي للمسجد.

أما في الجانب الحضاري المعماري، فقد كان لكتاب أنصار محمد عوض الله رفاعي والمعنون ب " الأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي" حصة الأسد في هذا البحث. بالإضافة إلى مجموعة لا بأس بها من المراجع حول الدور والمكانة التي يحتلها المسجد في المجتمع المسلم يأتي ذكرها في محلّها.

سار البحث وفق خطة تكوّنت من: مقدمة نحن بصدد عرضها، مدخل، ثلاثة فصول وخاتمة.

خصّص المدخل لتعريف المسجد، تعريف الحضارة، تعريف الثقافة،وتعريف القيمة. وجاء **الفصل الأوّل** بعنوان " ***وظيفة المسجد التربوية والعلمية*** " وقد اشتمل على مبحثين:

✓ المبحث الأوّل تضمّن دور المسجد التربوي في بناء المجتمع الإسلامي وسطّرنا تحته ثلاثة عناصر:

- المسجد ديوان أمة الإسلام، وبينا فيه كيف أن المسجد يحتفظ بتاريخ الأمة الإسلامية، مثلما يحتفظ الشعر بتاريخ الأمة العربية.
- المسجد نبع التربية، وبينا من خلاله كيف ربى المسجد الرعيل الأول باني الحضارة الإسلامية.
- تعرضنا للمسجد كمؤسسة اجتماعية بنوع من التفصيل.

✓ أمّا المبحث الثاني فقد ركزنا فيه على دور المسجد العلمي في الانبعاث الحضاري من حيث:

- مكانة العلم والعلماء في دولة الإسلام
- المسجد أول المنشآت التعليمية
- المدرسة وليدة المسجد
- التعليم من المسجد بدأ وإليه انتهى

أمّا **الفصل الثاني** خصصناه لـ ***"أعداء المسجد والإسلام"*** ، وقد احتوى بدوره مبحثين:

✓ المبحث الأول منه تضمّن أعداء المسجد بين الأمس واليوم ابتداء من مسجد الضرار الذي بني في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لحد الساعة، ثم أوضحنا بعض الطرق والأساليب الملتوية التي يستعملها أعداء الإسلام في حربهم على المسجد ، وكيف أنهم استخدموا ضعاف النفوس من المسلمين في حربهم هذه.

✓ أمّا المبحث الثاني فقد تعرضنا فيه للمسجد المنشود الذي نأمل فيه ومن خلاله نهضة الأمة الإسلامية من جديد. المسجد الذي يحتفظ بروح الإسلام كما جاء به المصطفى الأمين، ويساير تطورات العصر بشكل جميل. هذا المسجد يجب أن يكون في المجتمعات الإسلامية، كما يفرض فرضا أن يكون أينما تكون الجماعات الإسلامية في غير ديار الإسلام، لأنه الحصن الحصين للمسلم في هذه المجتمعات، والواقي له ولأهله من الانسلاخ عن دينه.

الفصل الثالث :

في هذا الفصل عرجنا بالمسجد في عالم الفن والجمال، ذلك أن أعداء الدين صوروه للجاهلين على أنه ككنيسة النصارى وبيع اليهود العابدين، وشتان مابين هذه المعابد وبيوت الله للمتأملين .

مقدمة

إن المسلم الذي حمل عقيدته في قلبه وإسلامه بين يديه جعل بصمته في عمارة مسجده لأنه بيت الله الذي لا يستطيع الاستغناء عنه والابتعاد عليه، فتفنن في بنائه وانفرد في تحسينه، وجعل منه آية في الجمال تنطق بوحدانية الله.

وفي الأخير جاءت خاتمة البحث التي جمعنا فيها حوصلة ما توصلنا إليه، وأتبعناها بقائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا، ثم فهرس للموضوعات.

وختاما أحمد الله أن وفقنا لهذا، وما كنا أدركناه لولا توفيقه سبحانه.

المدخل

- تعريف المسجد
- تعريف الحضارة
- تعريف الثقافة
- تعريف القيمة

تعريف المسجد :

المسجد لغة:

في الأصل اللّغوي، من سَجَدَ يَسْجد سجودًا. إذا وضع جبهته على الارض، موضع السجود.

"وعندما نطالع معاجم اللّغة فإنّنا نجدها تفصّل القول في تحديد معنى المسجد على النحو التالي:

المسجد(بكسر الجيم): اسم يُطلق على مكان سجود المصلّي.

المسجَد(بفتح الجيم): جبهة الرجل في حال السجود.

المسجد(بكسر الميم): و المَسْجَدة والسَّجَادة: هي الخُمْرة التي تعدُّ للصلاة والسجود، و هي السَّجادة المعروفة، وكانت تُصنع إما من الحصير، أو من المنسوجات القطنية أو الصوفية أو من اللّدائن (البلاستيك)"[1].

المسجد شرعا:

"أمّا عن المسجد شرعًا، فهو الموضع الذي يُسجد فيه. قال الزركشي وكذا الزجاج، كلّ موضع يُتعبد فيه فهو مسجد، لقوله صلى الله عليه وسلم: وجعلت لي الارض مسجدًا وطهورًا، وفي هذا يقول القاضي عياض، وهذا من خصائص هذه الأمة . لأن من قبلنا، كانوا لا يصلون إلاّ في موضع يتيقنون طهارته، ونحن خصّصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلاّ ما تيقنا نجاسته، وقال القرطبي: هذا ما خصّ الله به نبيه، وكان الأنبياء قبله إنّما أبيحت لهم الصلوات في مواضع مخصوصة."[2]

وقد اشتق (المسجد) اسم المكان للموضع الذي بُني للصلاة فيه من السجود لأنه أشرف أفعال الصلاة، ففيه-أي السجود- يكون العبد أقرب إلى ربّه، لذا لم يُقَلْ (مَرْكَع) مثلاً أو غيره ممّا يشتق من أفعال الصلاة.

ويمكن أن يُعَرَّف المسجد بأنّه بقعة من الأرض مخصّصة لأداء الصلاة المكتوبة فيه، ليست ملكا لأحد، ويمكن أن تؤدى الصلاة فيها مهمات عبادية ودعوية و تربوية وغيرها.

---

[1] عن: عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، "المسجد رمز الصمود والتحدّي"، مكتبة الدار العربية للكتاب، مدينة نصر، القاهرة، ط1، 1423 هـ / 2002 م، ص23 .

[2] سعاد ماهر، "مساجد في السيرة النبوية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص13 ،14.

المدخل

وقد ورد ذكر المسجد والمساجد والمسجد الحرام في القرآن الكريم -بلفظها- ثمانيا وعشرين مرّة، ووردت الاشارة إلى المسجد الحرام بلفظ بيت 17 مرّة، ووردت الإشارة إليه باسم مقام إبراهيم و مصلّى مرّة واحدة، ووردت الاشارة الى المساجد بلفظ البيوت مرّة واحدة. كما أنّ ورود لفظ المسجد في قوله تعالى:(وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً)[1] لدليل على أنّها كانت موجودة قبل الاسلام[2]، وإن دلّ هذا على شيء فانّما يدلّ على علوّ مكانتها ورفع قدرها، فهي أفضل بقاع الأرض ومكان تنزّل الرّحمات.

والرّفع إمّا حقيقي، وهو العلوّ بالبناء، و إمّا مجازي أي: إظهار شرفه، وتعظيم مكانه، ودعاء النّاس إليه لأداء الصلاة في أوقاتها الخمس جماعة مع المسلمين، فهي بيوت الله، ولله. قال الله تعالى:(وَ أَنَّ المسَاجِدَ لله فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَه أَحدًا).

وأمّا تسمية المسجد باسم فلان أو فلان، فمن باب التعريف التوضيحي وللتمييز بين المساجد نظرا لكثرتها وتعددها في البلد الواحد[3].

وعن ذكر فضلها وثواب المتردّدين عليها، ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - على سبيل المثال لا الحصر أفضل الثواب و أحسن الجزاء إذ قال:" أنّ النبي صلّى الله عليه وسلم قال:" إنّ للمساجد أوتادًا، الملائكة جلساؤهم، إن غابوا يتفقدونهم، و إن مرضوا عادوهم، و إن كانوا في حاجة أعانوهم" ثم قال: لجليس المسجد على ثلاث خصال: أخ مستفاد، أو كلمة محكمة، أو رحمة منتظرة."[4]

---

[1] القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم، سورة الكهف، الآية 21

[2] ينظر: حسين مؤنس، "المساجد"، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 1981، ص 13.

[3] ينظر: منصور الرفاعي عبيد، "مكانة المسجد ورسالته"، مكتبة الدار العربية للكتاب-مدينة نصر- القاهرة، ط1، 1417 هـ / 1997م، ص 15.

[4] المرجع نفسه ص17.

أنواع المساجد:

يمكن تقسيم المساجد من ناحية حجمها و اتساعها إلى ثلاثة أنواع:

- مُصلّى أو زاوية: ويتسع لأربعين مصليًّا على الأقل، ويستخدم لتأدية صلاة الجماعة في أوقاتها الخمس للمسلمين الموجودين في مؤسسة أو مصنع أو مدرسة...الخ. أو لخدمة سكان الحارة الاسلامية، أو المجموعة السكنية، أو قرية صغيرة:

أمّا المصلّى الذي يُعدّ لصلاة العيد ونحوه، لا يأخذ حكم المسجد، بمعنى أنّه لا يصح فيه الاعتكاف،كما لا تشترط الطهارة لدخوله، وما إلى ذلك من الأحكام المبسوطة في كتب الفقه.

- المسجد: وهو لخدمة حيّ بأكمله ويتوقف حجمه و اتساعه على عدد سكان الحي الذي يخدمه، ويمكن أن تتّم فيه صلاة الجمعة، وله إمام ومؤذن، وتتوفر فيه أو ترتبط به مجموعة من الخدمات العامة المختلفة، لتجعل منه مركز إشعاع علمي وديني و ثقافي للحيّ.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اول من أمر ببنائها عندما فتحت الامصار، حتى اذا كان يوم الجمعة انضم الجميع إلى مسجد جامع، فانتشرت مساجد الفروض الخمسة بجانب المساجد الجامعة.

- الجامع: وهو من أهم المنشآت العامّة في المدينة الاسلامية لما له من دور أساسي في حياة مجتمعها، فبجانب وظيفته الدينية، كان مركزا لبحث مختلف الشؤون الحياتية، وقد كان لكل مدينة جامع واحد يقع في مركزها، ومرتبط بالسوق الخاص بها، وكان من الضخامة بحيث يتّسع لكلّ الناس المكلّفين بصلاة الجمعة، وعندما تضخمت المدن وأصبحت مترامية الأطراف، كان ولابُدَّ أن يتعدّد الجامع في المدينة الواحدة، ومن المعايير التخطيطية التي يُعمل بها أنّه يجب أن يخدم الجامع الواحد 40000 نسمة[1].

[1] ينظر: نوبي محمد حسن، "عمارة المسجد في ضوء القرآن والسنة"، دار نهضة الشرق، القاهرة، ط1، 2002، ص 14، 15، 16.

المدخل

أهمية المسجد:

للمسجد مكانة مرموقة، وأهمية بالغة الأثر في نفس كلّ مسلم، فهو "محل أداء شعائرهم التعبدية من صلاة واعتكاف، وقراءة القرآن، وذكر الله تعالى، وهو منطلق الهداية والتوجيه، وميدان العلم والتعليم، وينبوع العلم والمعرفة، ومنبت التربية و والتثقيف، وهو النور المشّع في قلوب المؤمنين، وهو ميدان تخريج العلماء، والأبطال والقادة والمفكرين، وهو ساحة التقاء المسلم بأخيه المسلم على منهج الله تعالى، بل إنّ الوظائف الكبرى للمسجد تدلّ على أهميته وعظم منزلته"[1].

ولأهميته في نفوس المسلمين لا تكاد توجد جماعة منهم- تجارا أو طلابا أو مهاجرين- في بقعة من بقاع الأرض إلاّ وكان الهاجس الأول لهم إنشاء مسجد يضم شتاتهم ويوحد كلمتهم، ويشعرهم بوجودهم كونها: "بيوت الله في الأرض، وزوّارها عمّارها، فعن سلمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله وعليه وسلم قال: "من توضأ في بيته فأحسن الوضوء، ثمّ أتى المسجد فهو زائر الله، وحقّ على المزور أن يكرم الزّائر".[2]

فسبحان الله الذي أوحى إلى رسوله أوّل ما وطئت قدمه قباء أن ينشئ مسجدا، وعندما استقر النبي صلى الله وعليه وسلم في المدينة لم يُقَدّم شيئا على بناء مسجده، وعندما قام هذا المسجد ظهرت الجماعة الاسلامية الأولى إلى الوجود[3].

---

[1] المرجع السابق ص 16.
[2] المرجع نفسه ص 18.
[3] ينظر: حسين مؤنس، " المساجد"، ص 37.

المدخل

تعريف الحضارة:

لغة: مشتقة من الفعل "حضر" الذي هو نقيض "غاب"، ومشتقات هذه المادة هي: حضر، يحضر، حضورا، وحضارة، ويقال بحضرة ماء أي عنده، وحَضَرَت الصلاة، والحضرة خلاف البادية، والحاضر المقيم في المدن والقرى، وسميت بذلك لأنّ أهلها حضروا الأمصار ومساكن الدّيار التي يكون لهم فيها قرار.

اصطلاحا: يعرف ابن خلدون الحضارة على أنها غاية العمران تتصل بالتفنن في الترف، واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع، وسائر الفنون، والحضارة عنده لا تظهر في البادية لاقتصار البدو على الضروري من العيش الذي يحفظ الحياة من غير مزيد.
أمّا بالنسبة لعصورنا الحديثة و المعاصرة، فقد أطلق كثير من الباحثين مصطلح الحضارة على كل ما يتّصل بالتقدم والرقي الانساني في مختلف الميادين كاللّغة والأدب والفنون الجميلة والصناعة، والتجارة وغير ذلك من مظاهر النشاط الانساني، و ييسر السبيل إلى حياة انسانية كريمة.[1]

فالحضارة إذن – في مفهومنا العام– هي: "ثمرة كل جهد يقوم به الانسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول الى تلك الثمرة مقصودا أو غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية"[2].

[1] ينظر: اسماعيل سامعي، "معالم الحضارة العربية الإسلامية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية –بن عكنون– الجزائر، 2007، ص 13، 14، 15.
[2] حسين مؤنس، "الحضارة -دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطورها"، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، ط 2، 1419 هـ / 1998 م، ص 15.

المدخل

تعريف الثقافة:

لغة: جاء في لسان العرب: ثقف بمعنى حذق، ومنه أسرع في التعلّم، وظفر بالشيء، وتعني أيضا الفطنة، والمصادفة، وفي القرآن الكريم:(اقتلوهم حيث ثقفتموهم). و تثقيف القوس والرمح يعني تسوية المعوّج منه.[1]

اصطلاحا: لها العديد من التعريفات نظرا للأهمية المتزايدة التي منحناها إيّاها، "فمن أيام الرومان ارتبط معنى الثقافة بمعنى الانسانيات، فالثقافة عندهم تطلق على الانسانيات من أدب ولغة ونحو ومنطق و فلسفة دون العلوم، ومن هنا جاءت عند أوليوس جليوس Aulius Gallius عبارة Literarum Cultus ثقافة في الأدبيات"[2].

"أمّا معاصروهم من المفكرين الانجليز فقد نظروا في القيمة العملية للثقافة، فذهب ماثيو أرنولد في كتابه المسمى ثقافة الفوضى (Culture and Anarchy) (سنة 1869)، إلى القول أن الثقافة هي محاولتنا الوصول الى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن ما في الفكر الانساني مما يؤدي الى رقي البشرية، وقال إن الدّين من العناصر التي استعان بها الانسان في محاولته الوصول الى الكمال، وقال إن الفكر الهيليني يعتبر أيضا من تلك العناصر لأنه حاول أن يرى الأشياء كما هي"[3].

وعرّفها (تايلور) في كتابه الذي نشره عام 1871م بعنوان "الثقافة البدائية" على أنّـــها: "ذلك الكل المركب من العارف والعقائد والفن والأخلاق والقانون والأعراف وكل ما اكتسبه الانسان باعتباره عضوا في مجتمع ما"[4].

" وفي الثلاثينيات وما بعدها من هذا القرن، استعمل لفظ الثقافة في المعنى الذي كان القدماء يستعملون فيه لفظ الأدب، "فالأدب معناه الأصيل هو الأخذ من كل شيء بطرف كما يقول

---

[1] ينظر: اسماعيل سامعي، "معالم الحضارة العربية الإسلامية"، ص 18.
[2] حسين مؤنس، "الحضارة -دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطورها"، ص 377.
[3] المرجع نفسه، ص 378.
[4] عبد الكريم بكار، "من أجل انطلاقة حضارية شاملة، أسس وأفكار في التراث و الفكر و الثقافة و الاجتماع"، دار القلم، دمشق، ط 3، 1426 هـ / 2005 م ، ص 113.

الجاحظ، أي توسيع الانسان مدى معارفه حتى يعلم من كل شيء طرفا، وفي نفس العصر كانوا في أوروبا يقولون إنّه لا يتم علم المرء إلا اذا علم شيئا من كل شيء وكل شيء عن شيء.
To know something about every thing and every thing about something. [1]

"فإذا قلنا إنّ الثقافة هي مجموعة المعلومات التي يقوم عليها نظام حياة، أي شعب من الشعوب، فهي على هذا أسلوب حياته ومحيطه الفكري ونظرته إلى الحياة، ولابد أن تكون خاصة به، نابعة من ظروفه واحتياجاته وبيئته الجغرافية وتطور بلاده التاريخي، فهي إذن محلية"[2].

"ويخلص مالك بن نبي إلى تعريف رياضي للثقافة فيقول:" الثقافة هي التركيب العام لتراكيب جزئية أربعة هي: الأخلاق، والجمال، والمنطق العملي، والصناعة".[3]

"وللثقافة الأثر الأكبر في استقامة التفكير واعوجاجه. فحين تكون البنى الثقافية أقرب إلى السلامة والفعالية ، فإنها تساعد إمكاناتنا العقلية على إنتاج الأفكار القويمة والبناءة من خلال المعطيات والمدخلات التي تقدمها لها. فالإمكانات العقلية لدى الإنسان بمثابة (الرحى)، والمعطيات الثقافية، هي أنواع الحبوب التي نصبها فيها، والأحكام العقلية التي نصدرها هي ذلك (الدقيق) الذي ينتج عن عمل الرحى".[4]

[1] حسين مؤنس، "الحضارة - دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطورها"، ص 397
[2] المرجع نفسه، ص 375.
[3] اسماعيل سامعي، "معالم الحضارة العربية الإسلامية"، ص 23.
[4] عبد الكريم بكار، " مرجع سبق ذكره "، ص 62.

المدخل

تعريف القيمة:

القيمة لغة: واحدة القيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته، فقد استقام لوجهه، ويقال كم قامت ناقتك أي كم بلغت.

وقيِّم الأمر: مقيمه. وأمر قيَم: مستقيم. وفي الحديث: ذلك الدين القيم أي المستقيم الذي لازيغ فيه ولاميل عن الحق، وقوله تعالى: فيها كتب قيمة، أي مستقيمة تبين الحق من الباطل على استواء وبرهان.

والقيم: مصدر بمعنى الإستقامة كالصغر والكبر، إلا أنه لم يقل قوم مثل قوله: لايبغون عنها حولا، لأن قيما من قولك قام قيما، وقام كان في الأصل قوَم أو قوُم، فصار قام فاعتل قيم.
أنشد ابن بري لكعب بن زهير:

فَهُم ضَرَبُوكُم حين جرتم على الهدى بأسيافهم، حتى استقمتم على القيم

القيم: الإستقامة، وفي الحديث: قل آمنت بالله ثم استقم، فسر على وجهين: قيل هو الاستقامة على الطاعة، وقيل هو ترك الشرك.[1]

اصطلاحا: يعد موضوع القيم من أصعب الموضوعات وأهمها لأنها تختص بسلوك الأفراد وتصرفاتهم ،وهذه التصرفات يختلف تقديرها وتقييمها من مجتمع لآخر، ومن بيئة لأخرى، وذلك تبعا لاختلاف ثقافات المجتمعات وفلسفاتهم.

تدل كلمة قيمة مجازا على ما يتفق عليه أهل السوق ثمنا للسلع، وقد يكون الثمن مساويا للقيمة أو ناقصا عنها، ويمكن أن تأتي القيمة بمعنى الإستقامة، فالدين القيم هو الدين المستقيم، والرجل

[1] ينظر: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، " لسان العرب "، دار صادر- بيروت – لبنان، ط1، 1997، المجلد5، ص 346، 347، 348 .

القيم هو الرجل المستقيم، وقد تفيد معنى الثبات والاعتدال، وأيا كانت المعاني التي تتضمنها كلمة القيمة فهي ذات معان حميدة، تعطي الموقف الذي تستعمل فيه جلالا وأهمية.

تعد القيم المعيار الذي في ضوئه يمكن الحكم بخيرية الخير وحسن الحسن وقبح القبيح مما تبتدعه الجماعة لنفسها، ليربط أفرادها ويقيم بينهم رأيا عاما له أسس ثابتة نسبيا ليحكم تصرفاتهم.[1]

[1] ينظر: باسم الصرايرة، " استراتيجيات التعلم والتعليم النظرية والتطبيقية "، عالم الكتب، عمان، ط1، 2009، ص 263، 264.

الفصل الاول

وظيفة المسجد التربوية و العلمية

المبحث الأول

دور المسجد التربوي في بناء المجتمع الإسلامي

- المسجد ديوان امة الإسلام
- المسجد نبع التربية
- المسجد مؤسسة اجتماعية

المسجد ديوان أمّة الاسلام:

يقال إنّ الشعر ديوان العرب، وهي حقيقة لا ينكرها إلاّ جاحد، وتضاف اليها حقيقة أخرى لا تقل أهمية عنها، وهي أن المسجد ديوان أمّة الاسلام، فكيف ذلك؟.

لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة، كان بناء مسجده فيها أول عمل قام به عليه الصلاة والسلام، موضحا من خلاله قيام أمة الاسلام في طيبة، ثم تطورت الجماعة الاسلامية ونمت واتسعت وتطور المسجد معها واتسع وأصبح جامعا، وما من دولة اسلامية قامت في الحجاز أوكان لها عليه سلطان الا أضافت الى المسجد النبوي شيئا أو أعادت بناءه إلى يومنا هذا، حتى أصبح سجلا حافلا بتاريخ معظم دول الإسلام الكبرى في الشرق العربي.

وما قيل عن المسجد النبوي، يقال عن أكبر المساجد وأعرقها في العالم الاسلامي كجامع عمرو بن العاص في مصر و الذي يعد سجلا لتاريخ دولة مصر مع جامع الأزهر، وجامع عقبة بن نافع في القيروان والذي يقص علينا فصولا كاملة من تاريخ افريقية[1] والمغرب عامة، ونفس الشيء بالنسبة لمسجد قرطبة الذي يؤرخ لأمراء البيت الأموي واحدا واحدا من ميلاد الدولة الاسلامية في الأندلس الى سقوطها.[2]

إنّ المكانة العظمى والأهمية البالغة التي يحتلها المسجد في نفوس المسلمين هي التي جعلت منه أول منشأة تخط في العمارة الاسلامية، فلا تكاد توجد جماعة من المسلمين – تجارا أو طلابا أو مهاجرين- في بقعة من بقاع الأرض الا وكان الهاجس الأول لهم انشاء مسجد يضم شتاتهم، ويوحد كلمتهم، ويشعرهم بوجودهم.

فهو المكان الذي لا غنى لهم عنه، اذ يؤدون فيه " شعائرهم التعبدية من الصلاة والاعتكاف، وقراءة القرآن، وذكر الله تعالى، وهو منطلق الهداية والتوجيه، وميدان العلم والتعليم، وينبوع العلم والعرفة، ومنبت التربية والتثقيف، وهو النور المشع في قلوب المؤمنين، وهو ميدان تخريج العلماء والأبطال والقادة والمفكرين، وهو ساحة التقاء المسلم بأخيه المسلم على منهج الله تعالى، بل ان

[1] افريقية هي تونس حاليا.
[2] ينظر: حسين مؤنس، " المساجد "، ص 42.

الوظائف الكبرى للمسجد تدل على أهميته وعظم منزلته، ولذلك فضل الله المساجد ورغب في عمارتها، وجعل الأجر الجزيل على بنائها".[1]

ولا أدلّ على أهمية المساجد و مكانتها منذ قيام الدولة الاسلامية الى يومنا هذا على الرغم مما أصابها- الدولة الاسلامية- من الوهن والضعف بعد الرقي والازدهار والتحضر، من غلبة صوت المسجد على وسائل الاعلام الحديثة والمتطورة، فبالرغم من تعدد هذه الأخيرة -وسائل الاعلام- وتنوعها في" عصرنا ما بين مسموعة ومرئية ومقروءة، حتى صار لها جمهور يعشقها ويألفها، وذلك لما يبذل في سبيل تطويرها من جهود مالية وفنية تضمن لها الاستقرار و الاطراد، مع دقة التخطيط و جذب الأنظار، ومع هذا نجد أن المسجد ما زال يحتل المكانة الأسمى في نفوس المسلمين، ومنبره يمثل أقوى صوت يوجه الناس، وتتضاءل بجانبه أصوات تلك الأجهزة بإمكاناتها. و لا عجب فإن أكثر ما نسمعه أو نقرؤه أو نشاهده إنّما هو نتاج العقل البشري الذي قد يخطئ وقد يصيب، أما رسالة المسجد فهي في مجموعها رسالة الله لصالح الناس وسعادة البشرية، وشتّان ما بين الرسالتين!".[2]

[1] نوبي محمد حسن، "عمارة المسجد في ضوء القرآن والسنة"، ص 16 ، 17
[2] منصور الرفاعي عبيد، "مكانة المسجد ورسالته"، ص 9

المسجد نبع التربية:

اهتم النبي صلى الله عليه وسلّم بتربية الأفراد وتنقية النفوس، فقاد أصحابه بالممارسة العملية لآي القرآن، وحوّلهم من قبائل متناحرة تحكمها العصبية إلى أمة واحدة هدفها التمكين لدين الله، فكان المسجد الذي فرش بالرمال و الحصباء مدرسة خرّجت القادة، وربّت الأمة في مختلف مناحي الحياة، لقد تفجّر من المسجد نبع الحضارة الزاهرة، وفي رحابه اخمدت النار المتأججة في النفوس والصدور.[1]

"ومن المسجد انطلقت سرايا الفتح الاسلامي تحرر العباد من ظلم العباد، وتنقذ الانسانية من ويلات الظلم والجور، وتنشر بينهم ما جاء به الاسلام ودعا إليه من عدل و إحسان، وما حثّ عليه من عمل ونظام وعمران، وغير ذلك من قواعد الاجتماع البشري وأسس الحضارة الانسانية".[2]

إنّ أهم مظهر يتجلى في المسجد أثناء الصلاة هو الصفوف المتراصة في إخاء تام ومحبة، الناس فيه سواسية كأسنان المشط، فليس في المسجد مكان للوزراء و آخر للعمال، بل الصف الأول للسّباق، فتجد الغني بجوار الفقير والعالم بجوار المتعلم، الكل في جوّ روحاني طاهر.
قال تعالى في سورة الأنعام، الآية 52: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[3] رادّا على طلب الأغنياء لما طلبوا من الرّسول صلى الله عليه وسلم أن يخصّص لهم يوما يلتقون فيه معه، وجعل الاسلام السّبق إلى الله بالعمل لا بالنسب واللّون، فخيرة الصحابة والصفوة الأولى من المؤمنين كانت من بلال الحبشي وأبو بكر العربي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي، فالمسجد يعلّم الناس عمليًّا هذا الوعي الاجتماعي ليتحقق الخير في المجتمع، وينطلق الكل لأداء واجبه بهدوء واستقرار.

إننا نرى اليوم في أرقى دول المدنية- وليس الحضارية برأينا – أشد أنواع التفرقة العنصرية في مراحل التعليم، في المطاعم وحتى في ركوب الحافلات.[4]

---

[1] ينظر: "المرجع السابق"، ص 77.
[2] محمد بن محمد العطوي ابن سمينة، "أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس –المضمون وصورة التعبير-"، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2007م، ص 216.
[3] القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.
[4] ينظر: منصور الرفاعي عبيد،" مرجع سبق ذكره "، ص 40، 41، 42.

إنّ المسجد قائم ليصحّح مسار الركب، ويمنح البشرية زادها وتقواها ،"ففي مساجد الاسلام – حيث تقام صلاة الجمعة والجماعة– تأخذ المساواة صورتها وتزول كلّ الفوارق التي تميّز بين النّاس فمن ذهب إلى المسجد أولاً أخذ مكانه في مقدمة الصفوف، وإن كان أقلّ النّاس مالاً، وأضعفهم جاهًا. ومن تأخر حضوره تأخر مكانه مهما يكن مركزه. ولو نظرت إلى صف واحد من صفوف المصلين لراعك أن تجد الغني فيه بجوار الفقير، والعالم بجانب الأمي،والشّريف بجانب الوضيع، والحاكم بجوار المحكوم، والسيّد بجوار الخادم. لا فرق بين واحد وآخر، فكلّهم سواسية أمام الله، في قيامهم و قعودهم و ركوعهم وسجودهم.. قبلتهم واحدة وكتابهم واحد، وربّهم واحد وحركتهم واحدة، خلف إمام واحد، و التفاوت الفعلي بينهم يكون في إخلاص النيّة و العمل لله."[1]

هذه هي التربية العجيبة التي استطاعت أن تجعل من شعب بدوي في فترة لا تتجاوز ربع قرن شعبا قائدا رائدا لعالم متحضر يومئذ،"فاتحا فكره للعلم، وقلبه للانسانية جمعاء، ونفسه لحب الخير والسعي إليه حيث كان، ومقدما جميع قواه وطاقاته للعمل المثمر في سبيل مجد الانسانية وسعادتها الدنيوية والأخروية، وفي سبيل تحرير الانسان من العبوديات المختلفات، وربطه فقط بعبوديته للقوّة القاهرة، العليمة الحكيمة غير المنظورة، وهي العبودية لله وحده لا شريك له،(...) فدار بهم الزمن آنئذ دورة حضارية راقية خالية من الشر والإثم والضر، ورافقتها أفضل مدنية عرفتها تلك العصور، فلم يَدَعوا مجالا من مجالات المعرفة التي تيسرت لهم حينئذ إلّا خاضوا غماره، ولا ميدانا من ميادين السبق العلمي إلا كانوا مجلّين فيه، بينما كانت أوروبا وسائر الشعوب تغطّ في نوم التخلف العميق وضلام الجهل الدامس.

و لم يكن التقدم الذي أحرزه المسلمون آنئذ أثرا من آثار طبائعهم القومية أو العنصرية، و إنّما كان أثرا من آثار التربية الاسلامية"[2]، التربية التي شملت جوانب الحياة كلها،و لم تترك مجالا للصدفة.

ففي الجانب الروحي وجّه وأرشد عليه الصلاة والسلام لكل مسلك من مسالك الروح الانسانية، وفي الجانب الأخلاقي حدد معالم الأخلاق الفاضلة "وعزلها من الرذائل عزلا لا يسمح لإنسان مصلح أو فيلسوف، أن يقول فيها بعد مقالة الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا يستحق أن يكون ذا بال.

[1] نوبي محمد حسن، "مرجع سبق ذكره"، ص 111 ، 112.
[2] عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، "الحضارة الإسلامية، أسسها ووسائلها و صور من تطبيقات المسلمين لها و لمحات من تأثيرها في سائر الأمم "، دار القلم، دمشق، ط1، 1418 هـ / 1998م، ص 348 ، 349.

في الجانب البدني من شخصية الانسان كانت للرسول صلى الله عليه وسلم التوصيات التي تعطي للبدن حقه كاملا غير منقوص وتوجب عليه أن يقوم بواجبه كاملا غير منقوص كذلك.

وفي الجانب الاجتماعي من حياة الانسان أكد الرسول صلوات الله عليه أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الناس في صومعة يختارها لنفسه إذ لا رهبانية ولا عزلة في الاسلام إلّا لضرورة تستوجب ذلك او تبيحه"[1].

إننا ننظر في توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم واهتماماته فنجدها تصب في إشادة صرح المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية إذ كان يركز في خطابه على بناء الإنسان عقديا ونفسيا وفكريا وسلوكيا وجعل كل ما عدا ذلك من جوانب الحياة عبارة عن مكملات ومتممات[2].

هكذا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بوحي من ربه، فاعتنى أكبر عناية ببناء الفرد المسلم واعداده ليكون قوة راسخة في بناء صرح الأمة الاسلامية، فهو- الفرد المسلم- لبنة هذا الصرح إن حَسُنَ تكوينه وأجيد اعداده، وبالتالي أصبح هذا الصرح شامخًا قويًّا يتحدّى تطاول الأزمان وتغير الأحوال.[3]

[1] علي عبد الحليم محمود، " المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي"، دار المنار الحديثة ،شبرا- مصر، ط 4 ،1412ه/ 1991م، ص 19.
[2] ينظر: عبد الكريم بكار، "مرجع سبق ذكره "، ص 90.
[3] ينظر: علي عبد الحليم محمود، " مرجع سبق ذكره"، ص 18.

المسجد مؤسسة اجتماعية:

يعتبر المسجد النواة الأساسية للمجتمع الاسلامي، و أوّل وأهم صرح حضاري في تاريخ الاسلام، ويعّد البنية الأولى للمنشآت الاسلامية، حيث بادر النبي عليه الصلاة و السلام إلى إقامة المسجد بمجرّد وصوله إلى المدينة المنوّرة، و كانت مشاركته للصحابة في بنائه و العناية به دافعًا للمسلمين للاهتمام ببيوت الله و الاكثار منها، لتكون مدرستهم و جامعتهم.[1]

"فالمسجد ما هو إلاّ جامعة شعبية تعلّم جميع العلوم و المعارف، من اقتصاد، و سياسة، و زراعة، و طب، و تجارة...إلخ، و لابدّ لطلاب تلك المعارف أن يتعلموا أوّلاً أصول العقيدة، لأنها السلاح الذي يمدّ الانسان بالقوّة، ويعصمه عن التردّي في مهاوي الرذيلة.و العبادات، لا بدّ أن يلمّ المسلم بشروط صحتها، وسبب بطلانها، وما يجب على الانسان أثناء التلبس بتلك العبادات. و أهمّها الصلاة، و الصيام، و الزكاة، و الحج، ثمّ لا بدّ أن يتعلّم الفرد مكارم الأخلاق، ومعاملة الجيران و الأصدقاء و الأهل، وما شاكل ذلك".[2]

"إنّ علاقة المسجد بالمجتمع أقوى من أن تقف عند خمس صلوات فيه في اليوم و الليلة، ثمّ يغلق بابه فيما بين ذلك، وتنقطع علاقة المسلمين به وسائر شؤونهم وأحوالهم،إنعلاقة المسجد بالوضع الاجتماعي علاقة تفاعل ثابت ومستمر، فمن جهة يساهم المسجد في تكوين الجماعة المسلمة ومن جهة أخرى يحدّد المسجد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. ومن أهم الجوانب الاجتماعية التي ارتبطت بعمارة المسجد ما يلي:"[3]

- الأخوة و المحبة في الله: المسجد كفيل بايجاد أخوة دائمة بين أهله الذين يلتقون في الصلوات وفي الدرس، ومحبة تجعلهم يتزاورون ويعودون المريض، ويجيبون الدعوة ويعينون المحتاج والضعيف ويعلّمون الجاهل ويكرمون الضيف، ويؤدّون الحقوق إلى أهلها، وهذا كله منطلقه بيت الله. "فهل هناك مؤسسة تربوية مهما كانت يمكن أن تفعل في طلابها ما يفعله المسجد، أو أن تغرس فيهم هذه القيم الاجتماعية في سلوك عملي تربوي و تدريبي دائم ومتصل و متنامي. لا ينتهي بالحصول على شهادة تخرج كما يحدث في الجامعات العلمية الأخرى".[4]

---

[1] ينظر: يحي أحمد الكعكي،" رسالة المسجد، الوسطية و الاعتدال...و الحضارة"، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ص 52.

[2] منصور الرفاعي عبيد، "مرجع سبق ذكره"، ص 54.

[3] نوبي محمد حسين، "مرجع سبق ذكره"، ص 109 و 110.

[4] " المرجع السابق"، ص 110 و 111.

– التكافل الاجتماعي: المسجد بمثابة مكتب للخدمات الاجتماعية وجمع التبرعات و معونة المحتاجين، فقد ورد عن أنس –رضي عنه– أنّه عليه الصلاة والسلام أتى بمال من البحرين فأمر بنشره في المسجد. فكان أكثر مال أتى به، ولما انتهى من الصلاة وزّعه كلّه و لم يُبْقي منه شيئًا.[1]

– ايواء الغرباء وعلاج المرضى: خصّص النبي صلى الله عليه وسلّم في مسجده مكانا لايواء الفقراء والغرباء الذين لا يجدون مأوى وكان هذا المكان معروفا بالصفة، كما اتخذ عليه الصلاة و السلام من المسجد مكانا لعلاج المرضى وبخاصة في أيام الحروب، فقد "روي عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق، رماه رجل من قريش، ابن العرفة رمي في الأكحل فضرب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خيمة في المسجد يعوده من قريب، و قال ابن اسحاق في السيرة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رُفَيْدَة في مسجده، كانت تداوي الجحى، و تحتسب بنفسها على خدمة من كانت به صنيعة من المسلمين".[2]

" ويحكي احمد بابا التمبكي أن بلاد المسلمين التي مر بها في أقاليم السودلن تميزت بوفرة طعام اهلها، فلا تجد فيها جوعا ولا مسغبة لام الناس يعمدون الى مب بقي من طعامهم فيجعلونه على حصر نظيفة عند الجامع، فيصيب منها الجائع والمحتاج حاجته، ومن غريب امرهم أن الغرباء كانوا لا يصيبون الا قدر ما يكفيهم، ولا يأخذون منه شيئا معهم، وهذا عندهم عيب كبير، ومثله كذلك ان يكون الرجل قادرا على الكسب ثم يصيب من هذا الطعام.

وفي سيرة أحمد بن ابراهيم الجزار — وهو من اعاظم الاطباء المسامين، وكان قيروانيا. أنه كان يخرج بعد صلاة العشاء، ويقف على باب الجامع يداوي المرضى من الفقراء، وكان يصطحب عبدا يحمل أصناف الأجوية فيعطيهم منها ما يرى، وكان يعمل ذلك حبا في الله وبرا بأمة محمد صلّى الله عليه وسلّم وعلى هذا كان الكثيرون من صلحاء أهل الطب.

– فك الخصومات والقضاء بين الناس: اتخذ النبي عليه الصلّاة والسلام من المسجد مكانا للقضاء، واصدار الأحكام في القضايا التي ترفع اليه، كما كان يصلح بين المتخاصمين في المسجد

[1] ينظر: يحي أحمد الكعكي، "مرجع سبق ذكره"، ص 53.
[2] اسماعيل سامعي، " مرجع سبق ذكره"، ص 202.

[1]وعلى نهجه سار السف الصالح من امتنا،" يقول المقريزي عن ذلك: وبالجامع- أي جامع عمرو- ثلاث زيادات، فالبحرية الشرقية كانت لجلوس قاضي القضاة بها، في كل أسبوع يومان"[2].

- تكوين المرأة صانعة الرجال: المرأة نصف المجتمع، ان لم نقل المجتمع كله، ذلك أنها الأم و الاخت والزوجة والبنت ولها "مكان الريادة في تربية الأولاد، يرضعون منها لبان العلم والمعرفة ان كانت عالمة عاقلة، عارفة بأحوال المجتمع، وهي التي تصنع الأبطال، وتقدم للامة القادة في كل مجال، ومن هنا لم يهمل الاسلام رعايتها، و لم يغلق المسجد في وجهها، وانما أفسح لها مكانا في المسجد باعتباره جامعة علمية يؤصل من يتردد عليه بالمعرفة الصحيحة والفهم العميق، والثبات على المبدأ والاعتماد على الله".[3]

أعطى المسجد للمرأة كامل حريتها ورفع من شأنها، "وفي قصة الخليفة عمر بن الخطاب رضي اله عنه عبر ، وتاكيد على حرية الرأي. يروى أن عمرا بن الخطاب نهى عن المغالاة في مهور النساء، وقرر أن ما زاد على خمسة وعشرين درهما أخذ ورد الى بيت المال، فخرجت اليه من صف النساء امرأة تقول بأعلى صوتها على مسمع الجماعة في المسجد: ليس لك هذا يا عمر؟ فلم يزجرها بل وقف فسألها: و لم؟. قالت: لأن الله يقول:(**وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**)، فرجع امير المؤمنين الى المنبر وقال كلمته المشهورة التي بقيت ملء سمع الزمان: أصابت امرأة واخطأ عمر، وحرية الرأي هي احدى الثمرات التي أنتجها الاسلام، ونمت وترعرعت في ظل الحضارة الاسلامية"[4]. يقول الفيلسوف جوستان لوبون:" ان العرب هم اول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين"[5].

- تكوين الرجال رسل الاسلام: قال صلّى الله عليه وسلّم:" بلغو عني ولو اية"، لذلك كانت وظيفة المسجد هي توطيد العلاقة بين الانسان وربه، وبين الانسان واخيه الانسان، على المستوى الخاص والعام، الى أن يشمل ما بين الانسان والانسانية كلها (...)، والمسجد لم يكن في صدر الاسلام مكانا للسجود فحسب، و لم يكن بمعزل عن الحياة وتطورها ورقيها. بل كان المسجد يلتحم مع المجتمع، ليقدم له النماذج الطيبة من العناصر الصالحة التي تربت بين جدرانه، ونشات في محيطه، وشربت من رحيق الاسلام الصافي"[6]، حتى تتمكن -هذه العناصر- من اعمار الأرض ونشر رسالة

[1] ينظر: أحمد يحي الكعكي، " مرجع سبق ذكره"، ص 54 .
[2] منصور الرفاعي عبيد ، "مرجع سبق ذكره"، ص 82 .
[3] " المرجع نفسه" ، ص 23 .
[4] اسماعيل سامعي، "مرجع سبق ذكره" ، ص 59 .
[5] منصور الرفاعي عبيد، "مرجع سبق ذكره" ، ص 49 .
[6] " المرجع نفسه"، ص 28 .

الاسلام في العالم كله، فعندما " وصل ابن فاطمة الرحالة الى اخر بلاد غانة نظر الى ماوراءها وسأل عنها فقالوا له: هذه بلاد الكفر، فقال لمن معه: هلا بنينا مسجدا في هذا الموضع؟ فقالوا: يحرقه الكفار، فقال: لا والله ما يحرق المساجد الا الجبار العنيد، وهؤلاء قوم على الفطرة لا يعرفون الشر ، فما انتهى اليوم حتى كنا قد أقمنا مسجدا صغيرا من طين وسقفناه بالسعف واختار شيخ كبير من الرفقة ان يقيم عند المسجد فيخدمه، وتركناه ومضينا، وعندما عدت بعد شهور قليلة وجدنا الموضع قد صار بلد اسلام، وامتدت المساجد فيما قالوا انه بلاد الكفر أميالا كثيرة، وأصبح الشيخ اماما في نعمة كبيرة ببركة هذا المسجد المحروس"[1]

"ومعظم المسلمين فيما يلي الهند شرقا وما يلي الصحراء الافريقية جنوبا أدخلهم في الاسلام أناس كانوا مؤمنين صادقين وايمانهم الصادق هذا فتح للاسلام هذه الأبواب كلها، وقد كان أول ما تصنعه الجماعة منهم عندما تحط في موضع هو انشاء مسجد، والمسجد بنفسه يتولى الجانب الأكبر من عمل نشر الاسلام"[2].

جاء" في الصحيحين أن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع على الأرض، قال النبي صلى الله عليه وسلم: المسجد الحرام- قال أبو ذر: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قال: كم بينهما؟ قال أربعون عاما. ثم جعل الأرض لك مسجدا، فحيثما أدركتك الصلاة فصل فان الفضل فيه"[3]. ان دل هذا الحديث على شيء فانما يدل على عالمية الاسلام ودور المسجد في ذلك، قال الله تعالى في سورة ال عمران الاية 96:(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ)، وشرح روجي جارودي عولمة الاسلام قائلا: " وليس أدل على عالمية الاسلام من نزوله على نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في مكة التي ثبت علميا انه سرة الأرض ومركز التقاء الشرق بالغرب، والشمال بالجنوب، وعلى السرعة التي انتشر وينتشر بها، فقد وصل الى الصين والهند، وغطى ما بينهما من بلاد، ثم اندفع حتى افريقيا واوروبا، ومنهما اتجه الى أقصى بقاع الأرض في هدوء وسلم وسلام"[4].

---

[1] حسين مؤنس ، " المساجد"، ص 35 .
[2] " المرجع نفسه" ،ص 293 .
[3] منصور الرفاعي عبيد، "مرجع سبق ذكره"، ص 63 .
[4] نوبي محمد حسن، "مرجع سبق ذكره"، ص 154 .

وعليه نؤكد أن المساجد لم تكن منذ نشأتها مكانا للصلاة فقط، وانما كانت مراكز تربوية وثقافية، ومؤسسات اجتماعية واقتصادية، ولكل هذه الادوار العديدة والهامة، فقد استحقت أن يسميها عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم برياض الجنة.[1]

إن كثيرا من المشكلات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية فضلا عن الخلقية والسلوكية التي نعاني منها اليوم،لاتجد لها حلا إلا عندما يعود الناس إلى المسجد، تجمع بينهم آدابه،وثوتق ما بينهم من أخوة في الله ومحبة فيه،وعمل لما يرضيه،فإذا فعلوا ذلك فقد حققوا بفضل من الله سعادة الدارين .

[1] ينظر:يحي أحمد الكعكي،" مرجع سبق ذكره"، ص 54 .

المبحث الثاني

دور المسجد العلمي في الانبعاث الحضاري

- مكانة العلم و العلماء في دولة الإسلام
- المسجد أول المنشات التعليمية
- المدرسة وليدة المسجد
- التعليم من المسجد بدا و إليه انتهى

مكانة العلم والعلماء في دولة الاسلام:

أول ما نزل من الذكر الحكيم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:(اقرأ) بصيغة الأمر. وكررها جبريل عليه السلام على نبينا الامي أكثر من مرة حتى يبين سبحانه وتعالى للأمة الاسلامية على مر العصور من خلال نبيها الأمين درجة العلم ومكانته، فقال جل وعلا في سورة طه، الاية 114:(**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**).[1] وقال محفزا ومغريا لنا سبحانه وتعالى في طلبه -أي العلم-:(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً).[2] فاستعمل العليم الحكيم مع عباده جميع الأساليب حتى ينكبوا في طلبه لاعمار ارضه.

كما حث النبي صلى الله عليه وسلم على طلب العلم فقال:" طلب العلم فريضة على كل مسلم"، وان أختلف في نوع الفرض هذا –فرض عين أو كفاية- الا أنه ينسجم مع طبيعة الحياة وسنن الكون التي أوجدها الله. وقال أيضا: " من غدا في طلب العلم أظلت عليه الملائكة وبورك في معيشته، فطلب العلم لا يتقيد بزمان ولا مكان، ولا يحده سن ولا جنس، وعلى أساسه تستقيم الحياة.[3]

و فضل الله العلماء و كرمهم و جعلهم ورثة الأنبياء، "ولقد روى الطبراني أنّ أبا هريرة – رضي الله عنه- مرّ بسوق المدينة، فوقف و قال: يا أهل السوق، ما أعجزكم!؟ قالوا: و ما ذاك يا أبا هريرة ! قال: ذاك ميراث النبي صلى الله عليه وسلم يقسّم و أنتم هاهنا!! ألا تذهبون فتأخذوا نصيبكم منه؟ قالوا: و أين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعًا، ووقف أبو هريرة لم يبرح مكانه حتّى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة، أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر شيئًا يقسم. فقال لهم أبو هريرة – رضي الله عنه- أما رأيتم في المسجد أحدًا؟ قالوا: بلى، رأينا قوماً يصلّون، و قومًا يقرءون القرآن. و قومًا يتذاكرون الحلال و الحرام، فقال لهم: و يحكم، فهذا ميراث محمد صلى الله عليه وسلم! "[4].

---

[1] القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم .
[2] القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم، سورة الإسراء، الآية 85 .
[3] ينظر: اسماعيل سامعي، " مرجع سبق ذكره" ،ص 164 .
[4] منصور الرفاعي عبيد، "مرجع سبق ذكره"، ص 74.

و" عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما- أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعون الله و يرغبون فيما عنده، و الآخر يتعلمون فيه الفقه ويعلّمونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلا المجلسين خير، و أحدهما أفضل من الآخر، أمّا هؤلاء فيدعون الله و يرغبون إليه، إن شاء أعطاهم و إن شاء منعهم، و أمّا هؤلاء فيتعلمون و يعلّمون الجاهل، و إنّما بعثت معلّماً، ثم أقبل فجلس معهم."[1]

و"عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه- قال: "تعلموا العلم، فانّ تَعَلُّمَهُ للّه خشيةٌ، و طلبهُ عبادةٌ، و مذاكرته تسبيح، و البحث عنه جهاد، و تعليمهُ لمن لا يعلمُهُ صدقة، و بذله لأهله قربةٌ" و المقصود هنا العلم الديني، لكن أكثر العلوم خاصّة النافعة منها اعتبرت في رأي ابن خلدون ضمن العلوم المطلوبة.كالعلوم اللغوية مثلاً أو كما يسميها علوم اللسان العربي من لغة ونحو وبيان وأدب،فقد اعتبر معرفتها ضرورة على أهل الشريعة.

ثمّ اتسع مدلول العلم فيما بعد ليشمل كل العلوم النافعة و المفيدة للأمة الاسلامية والتي ترعى شؤون دينهم و دنياهم" [2] فقد بلغت العلوم زمن النبوّة عددًا لا يستهان به فكانت تشمل:

1. القرآن الكريم.
2. الحديث النبوي الشريف.
3. التفسير: و كان يقتصر على ما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم.
4. الأنساب: أمر النبي صلى الله عليه وسلم حسّانا (رضي الله عنه) أن يذهب إلى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ليعرف منه أنساب قريش و يدله على عوارهم ليهجُوَهم، وفي صحيح البخاري أبواب عن أنساب العرب.
5. شعر الانتصارات الاسلامية.
6. أخبار الغزوات النبوية.
7. الأحكام الفقهية.
8. الطب.
9. الحرث و الزراعة .
10. تاريخ الأمم الماضية مما جاء في القرآن الكريم، و قصص الأنبياء التّي قصها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[1] عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، " مرجع سبق ذكره"، ص 39 .
[2] حنان قرقوتي، " اللغة العربية والخط وأماكن العلم والمكتبات، الترجمة وآثارها"، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان، ط1، 1427ه/ 2006م، ص 49 .

11. علم الأحياء: جاء من معرفتهم بالخيل و الابل، ومعرفتهم بالصيد و أحكام الذبح، ومراحل تكوين الجنين.

12. علم الوراثة: قصة الرجل الذي جاءه ولد أسود: و إشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجمل الأورق من ناقة بيضاء و حديث:" و انظر في أيّ نصاب تضع ولدك فانّ العرق دسّاس."

13. علم التربية: أتى من التوجيهات النبوية في اختيار اسم المولود، و تكنيته و الآذان له عند ولادته و أمر الأولاد بالصلاة لسَبع، و ضربهم عليها لعشر و تعليم الشباب الرماية، و ركوب الخيل، و رواية الشعر، و حضورهم مجالس العلم.

14. الجغرافية: تتمثل في معرفتهم الطرق، و طبيعة الأرض التي يقصدونها، و أماكن المياه، و أسماء الجبال، و سكان المواقع التي يمرّون بها، و كان هناك مختصون بعلم الجغرافية يسمّى الواحد منهم (الدليل).

15. علام الفلك: يتمثل في معرفتهم الكسوف و الخسوف، و الاهتداء بالنجوم في السفر.

16. علم النفس: و هو يمتزج بعلم التربية و يتمثل في مراعاتهم مراحل نمو الانسان و حاجاته من الرّعاية، و طرق المعاملة، و رأفة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأطفال، و التدرج في تربية الطفل حسب سنه، و اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بطريقة عشرة النساء، و النهي عن ضربهن إلّا في حالات نادرة...الخ.

17. علم الكتابة و الخط.

18. علم اللّغة الأجنبية لقوله صلى الله عليه وسلم ما معناه:" من تعلّم لغة قوم أمن مكرهم" و في رواية "أمن شرهم"، [و الحق أنّ الجذور الأولى لحركة الترجمة ترجع إلى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان يكلّف بعض الصحابة بتعلم بعض اللغات الأخرى كالعبريةو السريانية و منهم زيد بن ثابت رضي الله عنه الذي يقال أنّه تعلّم السريانية في سبعة عشر يومًا].[1]

19. علوم الحرب و السياسة المحلية و الدولية.

فكلّ هذه العلوم كان يعرفها المسلمون في صدر الاسلام و بعضها كان موجودًا عند العرب في الجاهلية، و لكل علم شواهد من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و الحياة الاجتماعية و العملية.[2]

[1] محمد حمزة إسماعيل الحداد، "المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية"، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة- مصر، ط1، 2006م، ص 325.

[2] ينظر: حنان قرقوتي ، "مرجع سبق ذكره"، ص 53 ، 54، 55 .

المسجد أوّل المنشآت التعليمية:

بنى النبيّ صلى الله عليه وسلم في السنة الأولى للهجرة أوّل مسجد في الاسلام قبل بناء بيته لغرض العبادة و التفقه في أمور الدّين و الدنيا ."و كان لشخصية الرسول الكريم أثر بالغ في بثّ روح التشاور و التراوض بالفكر بين المسلمين، فقد كان المسلمون يتحلقون حوله في مسجده الذي ابتناه في المدينة، و هو أوّل من نظّم دروس النّاس في حلقة للأخذ عنه و التعلّم منه، و قد نشّط ذلك الحركة العقلية عند المسلمين مثلما فتحت سنته تلك الأبواب واسعة لحلقات الدرس التي ازدهرت فيما بعد في المساجد ".[1]

و استمر المسجد بصفته بيتًا للعبادة و مركزًا للعلم ينهض بهذا الدور الروحي و المعرفي طوال العهد النبوي و العهد الراشدي و بعض العصور التالية، " فانتضمت المجالس اللّغوية منذ عصر أبي الأسود الذي كان لمجالسه دور كبير في تخريج مجموعة من العلماء، هم تلامذته الذين حملوا راية الحركة اللّغوية من بعده، فحلقة أبي الأسود أوّل الحلقات و مجلسه أوّل المجالس العلمية التي انقطعت لضبط قواعد اللّغة و وضع أسس تعليمها للأجيال حفظا للغة أشرف كتاب و خير أمّة أخرجت للناس، و منعًا للعُجمة من أنّ تلوكها الألسن، فيستشري اللحن و الفساد، ثمّ اتّسعت مجالس و حلقات اللغة في المساجد حتّى اشتكى أحد الفقهاء من مزاحمتها لحلقات الفقه و الحديث فيما بعد."[2]

ومن المسجد الذي كان سفارة يستقبل فيه النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الوفود السائلة عن الدين الجديد ومن بينها- أي الوفود- أهل الكتاب نشأ علم الكلام الاسلامي وهو علم الدفاع عن العقيدة الاسلامية بأدلة عقلية ونقلية، فمن المعروف "أن أهل الكتاب وقفوا بوجه النبي صلى الله عليه وسلم، وجحد نبوته، وحاولوا تعجيزه بما سألوه من أسئلة عن الروح والغيب، فكان القران الكريم يجيب عن أسئلتهم تلك بأسلوب تنظمه روح الاحتجاج والافصاح عما يدحض دعواهم، ويسفه عقولهم التي لم تر نور الحقيقة، فمثلهم وقد حملوا التوراة كمثل الحمار يحمل أسفارا، وأنى له ان يعرف كنهها ويفقه مغزاها،أنزل الله في ذلك من قولهم، واختلاف امرهم كله، صدر سورة ال

[1] رحيم جبر أحمد الحسناوي،" المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية"، دار أسامة للنشر والتوزيع –عمان – الأردن، ط1، 1999م ، ص 15 .
[2] " المرجع نفسه"، ص 38 .

عمران الى بضع وثمانين اية منها. وقد كان ذلك باعثا على التأمل والنظر في معرض الاحتجاج الذي مهد السبل، وأثر في نشأة المناظرة"[1].

فالمناظرة تجري في المساجد، وتعقد مجالسها فيها، وكان سيبويه يتوعد الأصمعي ويقول:" لاناظرته الا في المسجد الجامع"، وتقع المناظرة فعلا في ذلك المسجد الجامع في البصرة.[2]

ومن المسجد،" من حلقات مدارسة الكتاب والسنة والتفقه في أحكامها، استنبط الائمة المجتهدون القواعد الأساسية في منهج الحكم في الاسلام، والبنود الرئيسية في دستور الدولة الاسلامية."[3]

ومن المسجد بدأ مشروع محو الامية بتوجيه من المعلم الاول صلى الله عليه وسلم عندما وقع المشركون أسرى في غزوة بدر، وكان من بينهم من يعرف القراءة والكتابة، فوضع الرسول صلى الله عليه وسلم أسس هذا المشروع لما جعل فدية الأسير منهم تعليم عشرة من المسلمين.[4]

"وفي المساجد وضعت أسس الثقافة الاسلامية، وفيها ارتفعت ذراها، وشيدت صروحها. وكان يدرس في المسجد كل علم ينفع النلس: من علوم القران وعلوم السنة، وعلوم الشريعة، وعلوم اللسان، وعلوم سنن الله في الاكوان ، وكل علم تحتاج اليه الأمة الاسلامية يكون تعلمه فرض كفاية في نظر الاسلام، حتّى الكيمياء والفيزياء والرياضيات."[5]

إنّ تنظيم المسلمين لفروضهم الدينية، و حاجتهم إلى تقويمها، و توقيتها بالاضافة إلى حاجتهم للمنطق اليوناني للدّفاع عن دينهم أمام اليهود و النّصارى، و أصحاب الديانات الأخرى جعلهم يجّدون في طلبهم للعلم.[6]فانبعث من المسجد نور الحكمة الالاهية و أضاء "منهاج البحث أمام المفكّرين المسلمين، فنقّبوا في آثار من كان قبلهم من الأمم و محصُوها درسًا و بحثا، ثمّ أشادوا من كدّ قرائهم و من ثمار عبقرياتهم دعائم حضارة انسانية بسطت جناحيها بالأمن و الرخاء و الحرية على الانسانية جمعاء".[7]

---

[1] " المرجع السابق"، ص 14 .
[2] " المرجع نفسه"، ص 61 .
[3] محمد بن محمد ابن سمينة ، " مرجع سبق ذكره"، ص 216 .
[4] ينظر: منصور الرفاعي عبيد، " مرجع سبق ذكره"، ص 54 .
[5] علي الطنطاوي، " الجامع الأموي في دمشق"، دار المنارة للنشر والتوزيع – جدة – السعودية، ط1، 1410ه/ 1990م ، ص 9 .
[6] ينظر: إسماعيل سامعي،" مرجع سبق ذكره"، ص 164 .
[7] محمد بن محمد العطوي ابن سمينة، " مرجع سبق ذكره"، ص 217 .

ثمّ سار المسلمون من بعد ذلك على هدي هذه السُنّة إلى العصر الحديث يشيدون المساجد للتعلم و التعبّد، و يوقفون على إدارة شؤونها و تسيير أمورها الأموال و العقارات و قد عرف أسلافنا –رحمهم الله تعالى- هذه الحقيقة ووعوها، فحبسوا الأحباس وكانت طائلة في الغالب على التدريس في المساجد، التدريس الديني، الجامع بين العلم و التهذيب.[1]

[1] ينظر : "المرجع نفسه"، ص 216 .

المدرسة وليدة المسجد:

أوّل من فكّر في إنشاء المدرسة و انفصالها عن المسجد، الخليفة المعتضد (279-289 هـ) حينما بنى قصره في الشماسية ببغداد[1]، و كان" لظهور المدرسة و انفصالها عن المسجد – الذي بدأ في أواخر القرن الثالث، ثمّ انتشرت المدارس و ازدهرت في القرنين الرابع و الخامس الهجريين- أثر في ازدهار المناظرة في أوساط طلبة العلم و شيوخه، على أنّ المساجد بقيت تتّسع لمجالسها مثلما شهدت نشأتها الأولى."[2]

فلماذا ظهرت المدرسة طالما أنّ المسجد كان يقوم بما قامت به هي من بعد؟

"إنّ نشأة المدرسة في الحضارة الاسلامية تعود في الأساس إلى نشأة المسجد الجامع على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، و رغم أنّ دور المسجد كان شاملاً روحيًّا و سياسيًّا و اقتصاديًّا و اجتماعيًّا، و مع أنّه كان دوره عامًّا موجّهًا إلى عامة النّاس، و للكبار أو الراشدين أكثر من الصغار، إلاّ أنه كان يقوم بدور المدرسة في تعليم الصبيان و الرّاشدين على حدّ سواء، ليتوسع بعد ذلك إلى إنشاء الكتّاب الخاص بتعليم الناشئة انطلاقا من تعليم القراءة و الكتابة، و تحفيظ القرآن الكريم، و بعض المعارف الأولية."[3]

"و يؤكد قولد تسهير Goldziher أنّ الكتّاب أنشئ مبكرًا منذ صدر الاسلام، و كان يدرّس القرآن و مبادئ الدين الاسلامي، كما يرى البعض أنّ الكتّاب يعود نشأته إلى تاريخ نشأة المسجد."[4]

إلاّ أن تطور الحضارة العربية الاسلامية أدّى إلى تطور العلوم و اتساع المعارف، و لم يعُد المسجد الجامع بشكله المعروف يستوعب هذا التطوّر، فكان لا بدّ من ايجاد نمط توسعة أخرى لتلبية الحاجات التعليمية المتزايدة فكانت المدرسة.

و المدرسة بناء" يشابه المسجد الجامع و الدور السكنية، و الربط، و هي لفظ يعني بناية مخصّصة للدراسة أو التخصص في علوم معينة مع كونها في الغالب عملاً وقفيًا أو تابعًا للدولة، و لها أنظمة خاصة."[5]

---

[1] ينظر: رحيم جبر أحمد الحسناوي،" مرجع سبق ذكره"، ص 61 .
[2] " المرجع نفسه"، ص 16 ، 17 .
[3] اسماعيل سامعي، " مرجع سبق ذكره"، ص 312 .
[4] " المرجع نفسه"، ص 299 .
[5] " المرجع السابق"، ص 312 .

و بذكر المدرسة و التعليم، لا بدّ من ذكر المكتبة و خير جليس، فقد "نشأت فكرة المكتبة متطورة من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يمثل أوّل مدرسة في الاسلام لتعليم المسلمين مبادئ الدين الحنيف، و قد سار من بعده العديد من بناة المساجد، و لا يوجد حدّ أدنى أو أقصى أوصى به لمسطح المكتبة، إذ أنّ ذلك يتوقف على عدد الكتب المتاحة بالمسجد و مسطح المسجد، و قد أوصت بعض الدراسات أن لا يقل سطحها عن 9 متر مربع للمسجد المحلي و 16 متر مربع للمسجد الجامع، أمّا موقع المكتبة فيمكن أن يرتبط مباشرة ببيت الصلاة، و يجوز أن تنفصل عنه سواء في نفس الطابق أو أسفل منه مع توفير الاضاءة و التهوية المناسبة."[1]

و للمكتبة بشكل عام و مكتبة المسجد بشكل خاص دور كبير في نشر الوعي و الثقافة، سواء الاسلامية أو العامة،" لما تحتويه من كتب و مخطوطات و مراجع رئيسة في مختلف جوانب الدّين و شتى علوم المعرفة، و لهذا تحدث المؤرخون عن مكتبات في معظم المساجد و الجوامع كانت مرجعا للطلبة و العلماء و النّساخ، و هذا خير دليل على تقدير المسلمين للكتب و إعجابهم بها و اهتمامهم بالمكتبات و إقبالهم على شراء الكتب و وقفها على طلاب العلم، فقد أقام القاضي ابن حيان في نيسابور بجوار المسجد دارًا للعلم و حزانة للكتب و مساكن للغرباء من طلاب العلم، و أجرى عليهم الأرزاق و عيّن لهم جميع ما يحتاجونه."[2]

و تعدّ مكتبات المساجد "أول المكتبات في التاريخ الحضاري العربي الاسلامي حيث كان لا يخلو من مكتبة (...) و مكتبته تحتوي على آلاف الأصناف من الكتب في مختلف العلوم و الآداب و الفنون، نذكر على سبيل المثال و لا الحصر المكتبات الآتية: مكتبة مسجد القمرية بالعراق، و مكتبة جامع بني أميّة في دمشق [في باحة هذا الجامع نحو الغرب بناء يقوم على عدة أعمدة يقال إنّ مال الجامع كان يودع فيه، و كان قبل ذلك مستودعًا للكتب و المخطوطات][3]، و مكتبة المسجد الأقصى بالقدس، و مكتبة جامع الأزهر بالقاهرة، و مكتبة جامع عقبة بالقيروان، و مكتبة جامع القرويين بفاس، و مكتبة قرطبة بالأندلس."[4]

---

[1] نوبي محمد حسن، " مرجع سبق ذكره"، ص 75 .
[2] " المرجع نفسه"، ص 124 ، 125 .
[3] ينظر: حسين مؤنس، " المساجد"، ص 161 .
[4] إسماعيل سامعي، " مرجع سبق ذكره"، ص 326 .

التعليم من المسجد بدأ و إليه انتهى:

رغّب الرّسول صلى الله عليه وسلم في التعلّم، و أمر بنشر العلم كما أمره ربّ العالمين بواسطة الروح الأمين. و لفضل بيوت اللّه على عباده جعلها عليه الصلاة و السلام أفضل الأماكن لنشر العلم، فكان المسجد النبوي مدرسة عامرة بالتعليم معلّمها الأوّل رسول اللّه العليم، كان يعلّم أصحابه و الوافدين على المدينة أمور دينهم و دنياهم. و قد استمر في تعليمه إلى أن لحق بالرفيق الأعلى، ثمّ قام علماء الصحابة بهذه المهمة النبيلة من بعده في المسجد النبوي و في مساجد الأمصار التي فتحوها، و على رأسهم عبد اللّه بن مسعود، و أبو هريرة الدوسي، و أبو الدرداء عويمر بن زيد، و معاذ بن جبل، و أبو ذر الغفاري، و عبد اللّه بن عباس رضي الله عنهم جميعًا.

أمافي عهد التابعين ومن بعدهم،فقد ازدهر التعليم في المساجد،وكانت هي دور العلم الأولى التي يقصدها الاف طلاب العلم على مر العصور، فقد بلغ تلاميذ أبي الدرداء في حلقاته العلمية بالشام ألفا وستمائة ونيفا.

والتعليم في المسجد يحيطه نوع من التفاني والاخلاص لا نجده في غيره من مراكز التعليم.إذ يشعر المعلم و المتعلم أنهم في بيت الله وضيافة الرحمان فتخلص النية وتتجرد النفس من مطامع الدنيا ويكونا بذلك ارادا العمل على وجهه الصحيح والمثالي.[1]

كان للتعليم بالبلاد الاسلامية مرحلتان أساسيتان هما:

- المرحلة الأولى او التمهيدية: مؤسساتها الكتاتيب وتلاميذها الأطفال وموادها تتمحور حول القراءة والكتابة وحفظ القران، وهي ليست مجانية.

- المرحلة الثانية: وهي العالية أو الثانوية والجامعية تقريبا، ومؤسساتها المسجد والرباط والمكتبة والمجالس التي تعقد في دور الامراء، والعلماء، وطلبتها اكبر سنا، وتدرس بها مختلف العلوم الشرعية والعقلية والطبيعية والانسانية، وهي مجانية.

[1] ينظر: نوبي محمد حسن، " مرجع سبق ذكره"، ص 118 ، 119 ، 120 ، 121 .

و لم تكن الدولة تشرف على التعليم وتوجيهه، فالمعلمون أحرار والاباء أحرار هم أيضا في تعليم أبنائهم،، فلا وجود للالزامية، انما كان هناك التزام ذاتي مستمد من الشريعة الاسلامية التي تجعل من طلب العلم فريضة وجهادا.

أما فيما يخص التعليم العالي بالمفهوم الحالي فكانت الدولة توجهه من خلال القائمين من الشيوخ والاساتذة، وكذا من خلال دروس الوعظ والارشاد في المساجد.[1]

و لم يكن التعليم في المسجد نظريا فقط، واما نظري تطبيقي في ان واحد لان الهدف ليس شهادة أو منصب عمل، وانما هو سمو بالروح والنفس لأعلى درجات النقاء والصفاء لتقرب من ربها في الدنيا والاخرة. كما أن تلقي العلم في دور العلماء كان يسبب بعض الاحراج لأهل الدار وللطالب المحتشم على حد سواء، لذلك كان يفضل التعلم في زاوية من زوايا المسجد.

ان حلقات العلم في المسجد لم تكن مقصورة على طلبته فقط ، و انما يستفيد منها العامة ايضا ، كما انها لم تكن مقصورة على الدروس الدينية ، و انما درست بالمساجد علوم اللغة و المنطق و كذا الطب ، فلا عجب ان يشتق اسم الجامعات الحالية التي تقدم مختلف العلوم من اصل كلمة جامع[2].

"و يمكن القول في هذا المجال ان الامتحانات كانت موجودة و صعبة يجتازها طلاب المرحلة الثانية او العالية امام لجنة او لجان من كبار العلماء في المؤسسات التعليمية، منها المساجد و دور العلم ، و تدوم اياما يحضرها الخاصة و العامة لاسيما رجال العلم و طلابه ، و قد يسافر الى حضور جلسات الامتحان هذا رجال العلم و طلابه من اماكن نائية ، حيث كان يعلن عن موعدها من قبل، و يدافع الطالب الممتحن عن ارائه و افكاره ، و يظهر مدى تحصيله المعرفي ،و سعة علمه ، و يعترف له اذا فاز في كل ذلك ، و اثبت جدارته من قبل العلماء او لجان الامتحان ، و بصورة اخرى تمنح له الاجازة او الشهادة و هو ما يشبه تقريبا ما يجري اليوم في الدراسات العليا – ماجستير و دكتوراه – كما قد يجيز شيخ ما لطالب من طلابه او مجموعة منهم ، فيمكن له او لهؤلاء الجلوس للتدريس او التصدي للوعض و الارشاد ، اما في المرحلة الاولى من التعليم ، فالتقويم اليومي و الموسمي نوع من الامتحان و منح الاجازات للانتقال من مرحلة الى اخرى "[3].

[1] ينظر: إسماعيل سامعي، " مرجع سبق ذكره"، ص 301 .
[2] ينظر : نوبي محمد حسن ، "مرجع سبق ذكره " ، ص 121 ، 122 .
[3] إسماعيل سامعي ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 309.

هكذا اعدت الجماعة الاسلامية رجال العلم و قدمت لطلابه المسجد و هو بيتها الذي تملكه، و اوقف الناس على العلم و اهله العقارات " دون ان يكون للدول عليهم كبير فضل، فيما خلى عطايا و هبات متفرقة و غير ثابتة لهذا العالم او ذاك (...) و من المؤكد على أي حال ان اصحاب السلطان وهبوا الشعراء الذين مدحوهم (بما ليس فيهم في الغالب) اضعاف ما قدموا لاهل العلم من الاموال ؟ و خيرا فعلوا ، فقد كان هذا ضمانا للعلم و اهله ، و الى ذلك يرجع الفضل ففي ظهور تلك الاجيال المجيدة من اهل العلم على طول تاريخنا ، فان اعتماد العالم على الجماعة تطلب ممن اراد الاستمرار في جملة العلماء ان يكون عالما حقا فما كانت هناك دولة تمنح شهادات ، و ما كانت اجاوات الشيوخ لطلابهم بمقبولة عند الجمهور الا اذا ثبت بالفعل ان الرجل عالم حقا و ذلك عن طريق دروسه التي تلقى في المسجد و يسمعها من اراد ، فكان العالم في امتحان دائم ، و كان عليه ان يثبت يوما بعد يوم انه لا يزال في مستواه الرفيع ، و كم من عالم فقد مركزه نتيجة لاخطاء وقع فيها في علمه ، او في الاجابة على اسئلة الطلاب ، و ما كان اقسى الطلاب على الشيخ اذا وقع في خطا او شبه خطا "[1]

و شهد شاهد من أهلها ، فقد تحدثت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها -شمس العرب تسطع على الغرب- عن دور المسجد العلمي في الانبعاث الحضاري قائلة :

" أما الطريق الذي يسلكه الراغب في تعلم فرع معين من العلوم ، و الذي يرغب الطالب أن يقوم هو بتدريسه يوما من الأيام فكان يبدأ في المساجد ، فلم تكن المساجد مجرد أماكن تؤدى فيها الصلوات فحسب بل كانت منبرا للعلوم و المعارف ، كما ارتفعت فيها كلمات الرسول فوق مسجد التدين الأعمى ، الم يقل محمد أقوالا ، كان يكفي لان يقولها في رومة حتى يحاكم عليها بتهمة الهرطقة ، أو ليس هو القائل بان حبر الطالب أقدس من دم الشهيد ؟

و حول أعمدة الجامع كان يجلس الأستاذ و يلتف حوله طلبة ، حلقة أبوابها مفتوحة لمن يشاء ، رجلا كان أم امرأة ، و لكل الحق في سؤال الأستاذ أو مقاطعته * معارضا ، و كان هذا النظام اكبر دافع للأساتذة ، يدفعهم دائما للإعداد المتقن لدروسهم و التعمق فيها . حقا ، لقد كان لأي متعلم الحق في أن يلقي ما شاء من محاضرات و أن يتخذ مجلس الأستاذ . و لكن الجمهور المثقف

[1] حسين مؤنس " المساجد " ، ص 31 ، 32.

* قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المرأة عندما تحدث عن المهور في المسجد و التي سبق و أن مرت معنا في هذا البحث خير دليل على ذلك .

الواعي بنقده الدائم و يقضته ، كان يحمي تلك المجالس من أن يتسرب إلى قيادتها مدعي علم أو من لم تنضج ثقافته و تكتمل ، [للفراء مناظرة مع أستاذه الكسائي يقول عنها : " كان للكوفيين كتاب يقال له الفيصل بمنزلة مختصر الكسائي ، و كنت أحفظ له من الكسائي ، فدخلت إلى مدينة السلام ، فسالت عنه ، و ذلك في خلافة المهد ، و كان الكسائي معه في حال رفيعة ، فقيل لي : انه يقعد في كل ثلاثاء ، فأتيته في مسجده الذي يقعد فيه للناس، فرأيت عنده غلاما أشقر أول ما بقل وجهه ، يسأله و يكتب ما يمله عليه في ألواح معه ، و جئت معي بشاهدين يشهدان على خطئه، فسألته عن مسالة ، فأجابني بخلاف ما معي ، فاوميت إلى الذين معي : أن اشهدا ، ثم سألته عن أخرى فأجابني بخلاف ما معي ، ففطن فقال لي : سالت عن كيت و كيت ، و الجواب فيه ما أخبرتك ، افتريد أن أجيبك بما يقول أهل الكوفة فيه و هو خطا ؟ قال : لان الله جل و عز قال : كذا و كذا في كتابه ، و هو خلافه ، و قال : كذا و كذا : قال الفراء : فرميت بما كان معي و استأنفت عنه التعلم ، فهو انبت على رؤوسنا الشعر "] [1] .

و حول أعمدة المساجد أتيحت للطلاب دائما فرصة الاستماع إلى الأساتذة الزائرين من كل إنحاء العالم العربي المترامي الإطراف ، [في ظل الدولة الإسلامية التي اتسعت رقعتها و امتدت حدودها من أقصى إلى أقصى المغرب تم تحقيق قدر كبير من الأمن و الأمان لم يعرفه أي جزء من أجزاء العالم من قبل و هو الأمر الذي يسر الرحلة في طلب العلم بحيث غدا الانتقال من بلد إلى أخر في المشرق و المغرب من الأمور المألوفة و الشائعة] [2]

فلقد كان المتعلمون في طريقهم السنوي إلى مكة لأداء فريضة الحج يغتنمون الفريضة فيزورون مراكز الثقافة الإسلامية الواقعة على مقربة من طريقهم فيستمعون لكبار الأساتذة في دمشق أو في بغداد و من أئمة العلماء من زار القيروان أو الجامع الأزهر بالقاهرة أو الزيتونة بتونس ليلقي تمة المحاضرات ، سواء كان هؤلاء العلماء في طريقهم إلى الحج أو مسافرين خصيصا لهذا الغرض ، يجوبون إنحاء العالم الإسلامي من سواحل بحر قزوين إلى سواحل الأطلسي و منهم المؤرخون و الجغرافيون ، و منهم علماء الحيوان و النبات و الباحثون عن تراث الأدب القديم ، و هم جميعا في حلهم و ترحلاهم يفيدون و يستفيدون ، و من شفاه هؤلاء و أولئك كانت الأفكار العلمية الحديثة تنتشر في كل صوب فما يدر اليوم في البصرة أو بغداد، تحمله إلى القاهرة أو قرطبة غدا الإنباء ، حين لم يكن هناك صحف أو بريد .

---

[1] رحيم جبر احمد الحسناوي ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 98 ، 99.
[2] محمد حمزة إسماعيل الحداد ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 322.

و كم كان من السهل ، إثناء نقل مثل تلك الإخبار من فم لأخر ، إن تسرق النظريات و الاكتشافات ، و لكن الأمانة العلمية الحق منعت هذا . فكان مألوفا إن نسمع من أستاذ علامة "يحيى بن عيسى اخبرني انه سمع من أبي بكر البغدادي كيف شرح سعيد بن ياقوت في إحدى محاضراته أن ..." .

فلم يكن العربي يرضى أن يحرق فمه بأفكار سرقها من غيره ، فمن يرغب من المعلمين إن يحاضر عن كتاب لغيره ، وجب عليه أن يحصل أولا على إجازة من مؤلف هذا الكتاب ، و لم يكن لأحد أن يؤخذ أراء أستاذه التي ألقاها شفويا في إحدى محاضراته ليدرسها لتلاميذه ، دون أن يستأذن أستاذه صاحب الرأي نفسه و كان راوي الشعر مثلا تلميذا للشاعر ينقل عنه إشعاره بموافقته و اختياره كما كانت الحال في الجاهلية . و يقول الطلبة عن أستاذهم الكريم الذي يمنحهم تصاريح بنقل إنتاجه العلمي انه قد غمر الأرض بشهود على عبقريته ، ذلك آت من يحصل يملك حق تدريس ما صرح له بت ، و بذلك كان حفظ حق المؤلف مرعيا مقدسا ، ورثته الجامعات الغربية عن المدارس العربية العليا "[1]

" إن المسجد طبيعته أن يلقن العلم و يدفع للعمل ، ليرتفع بمستوى الناس علميا و فكريا و ماديا ، ليتحقق له مكانة الاستخلاف في الأرض ، عن الله سبحانه و تعالى الذي يقول : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)"[2][3]

و الصالح في الآية هو الإنسان الذي عنده القدرة و معرفة استخراج كنوز الأرض و الانتفاع بخيرها ، و الارتقاء بالإنسانية في مجال التقدم و العمران مع حسن الصلة بالله و السير على نهج الرسالة السماوية .

---

[1] زيغريد هونكه ، " شمس العرب تسطع على الغرب ، اثر الحضارة العربية في اوروبة " ، نقله عن الألمانية فاروق بيضون – كمال دسوقي ، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري ، دار الجيل بيروت ، دار الافاق الجديدة –بيروت ، ط 8 ، 1413ه /1993 م ، ص 396 ، 397 ، 398 .

[2] القران الكريم ، رواية حفص عن عاصم ، سورة الأنبياء ، الآية 105.

[3] منصور الرفاعي عبيد، " مرجع سبق ذكره"، ص 128 .

الفصل الثاني

أعداء المسجد و الإسلام

المبحث الأول

أعداء الإسلام بين الأمس و اليوم

- مسجد الضرار أول مسجد معاد في الإسلام
- الحرب مستمرة على المسجد

مسجد الضرار أوّل مسجد معاد في الإسلام:

تفطن أعداء الإسلام لدور المسجد العميق في حياة المسلمين منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ،وأدركوا خطورته على غير المسلمين بمجيء الإسلام ، فأخذوا يضعون العقبات والعوائق ، وحاولوا محاربة هذا الدين بمسجد مماثل يجمعون فيه الناس على الكيد للإسلام و أهله وأصحابه، ويتخذون منه منطلقا لأعداء الإسلام[1] ،" فبنوا مسجد الضرار كفرا و تفريقا بين المؤمنين و إرصادا لمن حارب الله ورسوله. فماذا كان من قصة مسجد الضرار هذا؟ .

قال ابن كثير: كان بالمدينة من قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من الخزرج يقال له □أبو عامر الراهب وكان قد تنصرفي الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب ، وكان فيه عبادة في الجاهلية وله شرف في الخزرج كبير، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه ، وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر شرق اللعين أبو عامر بريقه وبارز بالعداوة وظاهر بها خرج فارا إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد، فكان من أمر المسلمين ما كان .

.....

ورأى - أبو عامر- أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ارتفاع و ظهور ، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم ، فوعده ومناه ، وأقام - أبو عامر- عنده وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق و الريب ، يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم عليهم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصدا له إذا قدم عليهم بعد ذلك "[2]

فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء* ، و فرغوا منه قبل خروج رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى تبوك ، و جاءوا فسألوه أن يأتي إليهم فيصلي حتى يحتجوا بصلاته فيه على تقريره و

---

[1] ينظر: علي عبد الحليم محمود، "مرجع سبق ذكره "، ص : 55 ،56 ،57.

[2] " المرجع نفسه"، ص57 ،58.

(*) مسجد قباء أنشأه سعد بن خيثمة بناء على رأي الرسول صلى الله عليه و سلم و ترسيمه، وقد تم إنشاؤه و استعمل للصلاة فعلا بعيد انتقال الرسول من قباء إلى منازل بني عدي بن النجار في وسط المدينة ، و قد افتتحه الرسول صلى الله عليه الصلاة و السلام و صلى فيه مع صحابته ، وقد ورد ذكر هذا المسجد في القرآن الكريم في سورة التوبة الآية 108 . ينظر : حسين مؤنس ، " المساجد " ، ص48.

إثباته ، و ذكروا أنهم بنوه للضعفاء منهم و أهل العلة في الليلة الشاتية ، و بفضل من الله و منه ، عصمه سبحانه من الصلاة فيه فقال صلى الله عليه و سلم :" إنّا على سفر ، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله ". ولما قفل عليه الصلاة و السلام راجعا إلى المدينة من تبوك ، و لم يبق بينه و بينها إلا يوم أو بعض يوم . [1] " نزل عليه جبريل بخبر مسجد الضرار وما اعتمده بانوه من الكفر و التفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد ــ مسجد ضرار ــ من هدمه قبل مقدمه المدينة "[2] .

ومما ينبغي أن يكون واضحا لدى الخاص و العام من المسلمين اليوم أن " مسجد الضرار و تفريق أمر المسلمين و تجميع الأعداء عليهم ، عمل مستمر في كل عصر ، وهو في عصرنا هذا الذي نعيشه عملية قائمة كما كانت قائمة في كل عصر من عصور الإسلام ، وهو عمل يتخذ في كل عصر الشكل الملائم للزمن الذي يمارس فيه "[3] و يتكيف مع الأوضاع المحيطة به حتى لا يفتضح أمره إلا لمن أنار الله له قلبه.

[1] ينظر: علي عبد الحليم محمود، "مرجع سبق ذكره"،ص 58.
[2] " المرجع نفسه"، ص 58، 59.
[3] " المرجع نفسه"، ص 64.

الحرب مستمرة على المسجد:

المسجد يفتح أبوابه لجميع المسلمين و من الجنسين ، و يقدم لكل واحد منهم ما يتلاءم مع سنه و فكره ،" وكان من منهج الداعية الأول : " أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم " . و لكن حدث أن ابتعد المسلمون عن منهاج ربهم، و تركوا سنة نبيهم ، و تفرقوا شيعا و أحزابا ، كل فريق يؤيد رأيه و ينتصر له و يهدم الرأي الآخر ، و لو كان هو الحق ، و انغمس المسلمون في هذا الخلاف [و في زحمة الصراع على الدنيا وحدها ، أهملوا بيوت الله و أفسدوا جوهرها ، و لم تعد للمسجد تلك الصدارة التي كانت له في صدر الإسلام ، فانكمش عن امتداده و قعد المسلمون عن أداء وظائفه ، فغابت عنهم روح المسجد و دب فيهم الفساد و الزيف][1]، فكانت نتيجة ذلك أن فطن الاستعمار لهذا الخلاف الناشب بين المسلمين ، فأعد عدته و غزا بلاد المسلمين و استعمرها ، و كان يعلم مسبقا دورا المسجد في الأمة ، و أنه قلبها النابض و روحها الخافق ودوره غير خاف على أحد "[2]، لهذا " فتح المستعمر الحانات ، و أقام الملاهي ، و أباح الزنا و أشاع الميسر ، وغمر بلاد المسلمين بالفسق و الفجور ،(...) لإبعاد المسلم عن المسجد "[3].

و لم يكتف بهذا فحسب ، بل هدم المساجد و حولها إلى إسطبلات* أو ثكنات أو كنائس**

" جاء في كتاب : الجهاد الأفضل الذي ألفه الوزير الجزائري عمار اوزيغان :" لقد كان الدين الإسلامي وثاقا يمتن اتحاد مختلف العناصر في القوة الشعبية التي تزخر بها بلادنا الجزائر ، غير أن العدو الاستعماري كان أكثر ذكاء حين كان يهدم الجوامع و يحولها إلى ثكنات أو إسطبلات كانت هذه معابد تهدم و يتم الخلاص منها إلا أن الجامع كان أيضا الجامعة ، كما هي الزيتونة في تونس و

---

[1] ينظر :"المرجع السابق " ، ص 13.

[2] منصور الرفاعي عبيد ،" مرجع سبق ذكره " ،ص 78.

[3] محمود شيت خطاب ، " الوسيط في رسالة المسجد العسكرية "، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط 7 ، 1401 هـ / 1981م، ص 165.

(*) نابليون جعل من حرم الأزهر إسطبلا لخيوله لما دخل مصر ، ينظر : " المرجع نفسه " ، ص 164.

(**) " ... و لأن المسجد هو عصب قوي من أعصاب المجتمع الإسلامي فكان الإخلال به و تحويله أمرا أدركته الكنيسة و رجالاتها مما دعاهم للوقوف أمام هذه الناحية طويلا ، متناسين سماحة الإسلام و الدولة الإسلامية التي كفلت في أوج عظمتها حياة طيبة لم يتعرضوا فيها لأذى لا في أنفسهم و لا في أموالهم و لا بيعهم و صوامعهم."نزار علي الطرشاوي " مساجد حولت إلى كنائس ، دراسة تاريخية معمارية في الأندلس " ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية و النشر و التوزيع ، اربد - الأردن - ، ط1 ، 2010 ، ص38.

القرويين في فاس و كما هو الأزهر في القاهرة " ، فهدم جامع كان يعني هدم مدرسة و مكتبة و قاعة للمحاضرات و بيت للشعب و جمعية استشارة أو شورى ، ومتحف موسيقى يدرس فيه تجويد القران (... .)"[1].

و لم يكن نصيب العداء للمساجد في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفياتي بأقل من غيره ، فقد كان العدو يركز" على هذه المؤسسة الإسلامية الخطيرة في نظر الشيوعيين ولابد من القضاء على المساجد قضاء كاملا، لذلك حولوا معظم لمساجد إلى مخازن للفودكا أولا زيادة في المهانة إذ يتحول المسجد إلى مخزن خمور، و إلى مخازن للبضائع المختلفة ثانيا.

وقد خرب الشيوعيون في الجمهوريات المسلمة في الاتحاد السوفياتي ستة وعشرين ألف مسجد في الفترة الواقعة بين سنة قيام الثورة الشيوعية و سنة 1945 م "[2].

ورغم ذلك المساجد في هذه البلدان المستعمرة زادت " و أصبحت أضعاف ما كانت عليه في القرن الأول الهجري ، و كانت الملجأ الذي يلجأ إليه المسلمون في أيام الحروب و النكبات ،(....) ، و كانت هي المدارس و الجامعات التي يتخرج فيها التلاميذ و الطلاب ، و يعكف على التدريس فيها الشيوخ الأجلاء و الأئمة الأعلام .

والى هذه المساجد يرجع الفضل الأول في بقاء التماسك بين المسلمين ، لأنها كانت المنبر الأول لتلاوة القرآن الكريم و الحديث الشريف و علوم الدين ، وهي التي خرجت البقية الباقية من القادة المنتصرين ومن المسلمين المجاهدين"[3].

و انطلقت ثورات المسلمين و العرب كلها " من المسجد على الاستعمار و المستعمرين . فقد انبعثت ثورة 1920 م في العراق على الانكليز من المسجد ، و انبعثت في المغرب من جامع القرويين ، وفي تونس من الزيتونة ، في الجزائر من جمعية علماء الجزائر على الفرنسيين ، و انبعثت من الزوايا في ليبيا على الايطاليين ، وكان للأزهر دور عظيم في ثورة سنة 1919 في مصر على الانكليز ، و انبعثت من مسجد بني أمية في دمشق على الفرنسيين"[4].

---

[1] محمود شيت خطاب ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 158.
[2] علي عبد الحليم محمود ،" مرجع سبق ذكره " ،ص 163.
[3] محمود شيت خطاب ، " مرجع سبق ذكره " ،ص148.
[4] "المرجع السابق " ، ص 169.

وبذكر الأزهر على سبيل المثال لا الحصر ، وهو مسجد واحد من مساجد العالم الإسلامي فإننا نجد " من حرب المبشرين و المستشرقين و المستعمرين و الصهيونيين [عليه] مالا قبل لمسجد به ،إذ هي حرب سافرة حينا و مضمرة خبيثة حينا ،و ضارية و حشية في بعض الأحيان"[1].

وقد خص " جرونر" مسجد الأزهر بكلمة قال فيها :" من سداد الرأي منع جامعة الأزهر أن تنشر الطلبة المتخرجين فيها في جنوب افريقية ، إتباعا لقرار مؤتمر التبشير العام ، لان الإسلام ينمو بلا انقطاع في كل افريقية ".

وهم كذلك ينظرون إلى الجزيرة العربية كلها ، لما فيها من المسجدين العظيمين المسجد الحرام و مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول في ذلك القس المبشر " زويمر " أكثر المبشرين حقدا على الإسلام و المسلمين : إن جزيرة العرب التي هي مصدر الإسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية "[2].

لهذا وضع أعداء الإسلام " تعطيل المؤسسات الإسلامية و على رأسها المسجد ثم المدارس و المعاهد التي تعلم الدين الإسلامي، و حرمان المتعلمين فيها من أي تقدير أدبي أو مادي "[3] نصب أعينهم ، و خير مثال على ذلك ما فعله المستعمرون في الأزهر و أهله ، فقد" بدءوا حملتهم عليه بتجاهله و تجاهل أبنائه ـــ وهم المسيطرون على البلاد و سياستها آنذاك وركزوا خطتهم على عزل الأزهر عن المجتمع بعزل المتخرجين فيه عن مراكز القيادة و التوجيه و الإسهام الحقيقي في بناء المجتمع، فأهملوا أمره و أمر العلوم التي تدرس فيه في كل ما صاغوه من لوائح و نظم للتعليم و غضوا من قدر المتخرجين فيه بإنقاص ما يتقاضونه من أجر أو راتب عن نظرائهم من المتخرجين في المدارس و الكليات التي لا تعنى بعلوم الإسلام و اللغة العربية [" لقد تفنن أعداء الإسلام بمحاولاتهم إضعاف اللغة العربية لغة القران الكريم ، فدعوا إلى الكتابة بالحروف اللاتينية ، و التخاطب و الكتابة باللهجات العامية ، و أشاعوا أن العربية أصعب اللغات، وزعموا أن العربية الفصحى لغة أدبية لا علمية ، و أن الفصحى لا تستطيع مجاراة العلوم الحديثة ، وفرض المستعمرون لغتهم على الدراسات العلمية.وقلصوا من تدريس القرآن في المدارس ، و المعاهد و الجامعات ، وهونوا من شأن اللغة العربية و مدرسيها و أساتذتها"][4].

---

[1] علي عبد الحليم محمود ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 149.
[2] " المرجع نفسه " ، ص 150.
[3] " المرجع نفسه" ، ص 167.
[4] محمود شيت خطاب ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 161.

و كان قصدهم من وراء ذلك ألا يأخذ علماء الدين و اللغة بأسباب العيش و يظلوا فقراء تزدريهم أعين الناس لفقرهم و هوانهم على المجتمع الذي يعيشون فيه ، و لإجبارهم من جانب آخر على أن يظلوا تابعين للحكام يلهثون وراءهم من أجل الحصول على حقوقهم التي تكفل لهم العيش الكريم"[1].

" إن المسجد اليوم يخرج الموظفين ، و العرب و المسلمون بحاجة إلى علماء دين ، ففي مصر بلد الأزهر الشريف يفتقر أكثر من عشرين ألف مسجد إلى علماء دين، وما يقال عن الأزهر يقال عن القرويين و الزيتونة و مساجد المسلمين "[2].

لقد خبا أثر المسجد الذي كان في القرن الأول الهجري بسبب الحرب المسعورة و المستمرة عليه ، ولكن بقي شيء من أثره في العقول و القلوب معا، لهذا يستهدف الاستعمار الحديث المسجد بالدرجة الأولى إيمانا منه بأن قتل روح المسجد في النفوس هو قتل للشخصية الإسلامية ، ولذلك يهتم ـــ الاستعمار الحديث ـــ اهتماما كبيرا بحربه أو تعطيل عمله الحقيقي أو صرف المسلمين عنه ، فهل نجح في تحقيق هدفه ؟[3]

لقد التقت مصلحة الاستعمار بمصلحة الصهيونية العالمية ، لذلك كان التعاون بينهما وثيقا في "تحقيق الهدف الحيوي الأول لهما معا ، وهو سلب العقيدة من العرب و المسلمين ، لان العرب جسد روحه الإسلام ،ولا بقاء للجسد بلا روح .كما أن الجسد بدون روح موت، و الأموات لا يقاتلون . و أعداء الإسلام و المسلمين: الاستعمار القديم و الاستعمار الجديد ، و الصهيونية العالمية ، لا يجتمعون على شيء اجتماعهم على محاربة الإسلام.

وسر ثبات الإسلام أمام التيارات الجارفة التي تعرض لها سابقا و يتعرض لها اليوم و سيتعرض لها غدا ، يكمن في القرآن الكريم لغة وعقيدة و تشريعا ومثلا عليا.

---

[1] علي عبد الحليم محمود ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 178 ، 179.
[2] محمود شيت خطاب ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 184.
[3] ينظر علي عبد الحليم محمود ، " مرجع سبق ذكره "، ص 152 ،148.

و القران الكريم يعلم في المسجد ، و يحفظ في المسجد ، وتدرس علومه في المسجد و يتلى صباح مساء في المسجد ، فلابد من إغراء المسلمين بالابتعاد عن المسجد ، حتى تضعف صلتهم بالقران الكريم"[1] .

ومن إغراءاتهم للمسلمين و حربهم على المسجد أن قاموا بإنشاء النوادي و الملاعب و الملاجئ و غيرها من المراكز المختلفة ، و استطاعوا بهذه المؤسسات أن يجتذبوا إليهم عددا كبيرا من السذج الغافلين من المسلمين ، فدسوا لهم السم في العسل من خلال " الخدمات التي يقدمونها للفقراء و أهل الحاجة ، وهذه المؤسسات في حقيقتها مؤسسات تبشيرية تحبب الناس في المسيحية و تبغضهم في الإسلام، وتحول بينهم وبين المسجد بكل وسيلة ممكنة من وسائل الصرف عنه و الوقوف دون أن يؤدي المسجد وظيفته ".[2]

و لم يكتف أعداء الإسلام بهذا ، بل عملوا و يعملون و سيعملون على قتل المسلم بالموت البطيء من خلال قتل الوقت وصرف الحياة في الملاهي و المسارح و السينمات ودور اللهو ، وانتشرت المقاهي وما شاكلها ، فجلس الناس عليها حلقا يقضون أوقاتهم و يضيعون أخلاقهم ، وانصرفوا عن كل علم وفن ، في حين تقدم غيرهم.[3]

ومن العجب العجاب " أن الانجليز وهم أمة عريقة في استعمار البلاد الإسلامية يغلقون دور اللهو في بلادهم في الساعة العاشرة ليلا ، ولكنهم يسمحون حين كانوا يسيطرون على البلاد الإسلامية بأن تمتد بعض العروض المسرحية أو السينمائية إلى ما بعد منتصف الليل بساعتين أو ثلاث "[4]. حتى يدمن المسلم على السهر و يرهق بدنيا و نفسيا من خلال ما يرى و يسمع ، فيضيع صلاة الفجر من جهة و يكون عاجزا عن الإتقان في عمله ، غير منضبط في مواعيده من جهة أخرى ، وبذلك يسير كالمخدر في حياته ، منخدع بأهل الحضارة الغربية ، قاتل لحضارته الإسلامية ، عونا لعدوه على نفسه .[5]

ومما زاد الطين بلة أن يقع المسلمون في فخ النصارى و يتصوروا" أن المساجد دور عبادة فحسب ، لان ذلك التصور إنما وفد على المسلمين من وضع الكنائس و البيع لدى النصارى و اليهود

---

[1] محمود شيت خطاب ،" مرجع سبق ذكره " ، ص 160.
[2] علي عبد الحليم محمود،" مرجع سبق ذكره " ، ص 100.
[3] منصور الرفاعي عبيد " مرجع سبق ذكره" ، ص 78 ،79 .
[4] علي عبد الحليم محمود ، "مرجع سبق ذكره " ، ص 139 .
[5] ينظر:" المرجع نفسه " ، ص 139 ، 140 .

،ومن إلحاح هؤلاء النصارى و اليهود على المسلمين في أن يتحول المسجد من وضعه الإيجابي الموجه الفاعل في المجتمع إلى الوضع الانعزالي السلبي الذي سيطر على الكنيسة و البيعة ، ولقد استجاب بعض المسلمين ـــ مع الأسف البالغ ـــ فجعلوا من المساجد في بلادهم مجرد دور للعبادة ، فعزلوا المسجد عن المجتمع و حرموا المسلمين من أن يحيوا حياتهم الإسلامية في ظل روح المسجد "[1].

ونحن نتساءل عن سر إغلاق المسجد في غير أوقات الصلاة ، من الذي أوحى به إلى فاعليه ؟ ومن أين أتوا به ؟ هل أثر عن الرسول صلى الله عليه و سلم ؟ أو عرف عن أحد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ؟ و هل يتلاءم هذا الإغلاق مع وظيفة المسجد ؟ و كيف يمكننا أن نمنع بيت الله عن عباد الله ؟.

" لقد هم الرسول صلى الله عليه و سلم أن يحرق على قوم بيوتهم ، لأنهم يتخلفون عن الجماعات ، ولما كان المسجد هو عنوان المسلمين فإنهم يجتمعون فيه ، و يتدربون على هذا اللون الجماعي الذي يرقى بالأمة و يسمو بها ، و يضعها في مصاف الأمم ، ومكان الصدارة منها ، لأنهم بهذا الأداء يتعارفون و يتعاونون على حل مشاكلهم بروح الحب و التفاهم المبني على النقاء و الطهر و الصفاء . وابن مسعود رضي الله عنه يقول : من سره أن يلق الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ، فان الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنة الهدى ، وأنهن من سنة الهدى ، وأنكم لو صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ، ثم يعمد إلى المسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، ويرفعها بها درجة، و يحط عنه سيئة . ولقد رأينا و ما يتخلف عنها ـــ أي صلاة الجماعة ـــ إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يتهادى بين الرجلين يسند انه لمرضه حتى يقام في الصف "[2].

" لقد وقف أعداء الإسلام للمسجد بالمرصاد ، حاربوه وناصبوه العداء لأنهم أحسوا بخطر وظيفته في المجتمع الإسلامي ، وكانوا في حربه شيعا و فرقا ،(...) فمنهم من عطل فيه روح المدرسة و التعليم ، ومنهم من قتل فيه روح التوجيه و الإرشاد ، ومنهم من طرحه من حياة المسلمين فأغلق أبوابه إلا في أوقات الصلوات ، ومنهم من أهمله ، ومنهم من ضيعه ، و منهم من حوله إلى كنيسة أو بيعة " [3]. ومع هذا لم تضع رسالة المسجد كليا ، و لم ينطفئ نوره بل بقي المكان الوحيد الذي

---

[1] " المرجع السابق " ، ص37 .
[2] منصور الرفاعي عبيد ، مرجع سبق ذكره " ، ص 44 .
[3] ـ علي عبد الحليم محمود ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 13 .

حافظ على اللغة العربية من الضياع من خلال تلاوة القرآن و تفسيره ، كما وقف شامخا يرد العدو و يصنع الرجال رافعي الظلم عن العباد ، وخير دليل على ذلك ، عدم المقدرة على منافسة المسجد في المكانة التي يحتلها في النفوس و العقول رغم ما تملك هذه المؤسسات من دعم و دعاية .

فإذا قيل أن المدرسة تستطيع أن تنافس المسجد على مختلف مستوياتها و إن كانت تشاركه " في توجيه الشباب و تربيته و تعليمه ، إلا أن المسجد أنفذ في توجيهه و تربيته منها ، وإن الفروق لشاسعة بين توجيه المدرسة وتوجيه المسجد ، وعلى رأس هذه الفروق أن رواد المسجد يذهبون إليه متعبدين بكل خطوة يخطونها إليه متقربين من الله سبحانه راجين رحمته و مغفرته ، يدفعهم إليه إيمانهم و رشدهم ، وهم لذلك أشد حرصا على كل كلمة تقال في المسجد ، وليس هكذا طلاب المدارس في غالب الأحيان .

و إن النوادي الرياضية (...) و إن كانت تسهم في توجيه الشباب و تنمية أبدانهم و بعض قدراتهم إلا أنها لا تستطيع أن تنافس المسجد في عمق تأثيره في النفوس ، ولا في نقاء الكلمة التي تقال فيه ، ولا هي بقادرة على كسب قلوب روادها إلى الحد الذي يجعل ترددهم عليها ضربا من العبادة كما هو الحال في المسجد.

وقد يقال : إن الصحافة أو الإذاعة بنوعيها أو الكتب و المؤلفات قادرة على منافسة المسجد في التأثير في سلوك الإنسان و دفعه نحو الأسلوب الأمثل في ممارسة الحياة ..!!! و ذاك قول مردود من عدة وجوه :

الأول : إن هذه الوسائل في معظم المجتمعات التي توجد فيها إنما تجمع الرديء إلى الجيد ، و تخلط بين الحق و الباطل (...) ، وقلما تخلوا واحدة منها من التأثر ببعض المذاهب العالمية الهدامة (...) ، والتي تستهدف تدمير الأخلاق و قتل الفضائل في النفوس بما تشيعه في الناس من أنواع الانحلال وما تحببه إليهم من الرذائل ، وما تروج به للجريمة (...) فكيف بهذه الوسائل وهي متأثرة بالصهيونية * و بغيرها من المذاهب الهدامة كيف بها تؤثر في الناس كما يؤثر المسجد؟ أنى لها أن تنافسه في وظيفته ؟.

(*) الصهيونية كما يزعم أصحابها حركة سياسية حديثة تستهدف قيام دولة يهودية - اليهودية حسب زعمهم نزعة دينية فقط - في فلسطين على غرار الدولة التي قضت عليها روما قديما ، وتعويضا عنها ،غير أن الواقع و التاريخ يشهد أن اليهودية و الصهيونية شيء واحد هو العداء للإسلام و الإنسانية . ينظر ، علي عبد الحليم محمود ، " مرجع سبق ذكره "، ص 132 ، 133 .

الثاني : إن هذه الوسائل لا يقوم (...) على توجيهها المسلمون دائما ، وعلى فرض أن أتيحت لبعض المسلمين فرصة توجيه هذه الوسائل و ترشيدها بما يتفق مع الإسلام ، فإنهم في أغلب الأمر ينغمسون في مجاراة المذاهب الاجتماعية الشديدة البعد عن الإسلام و هديه ، بل نراهم يتبارون فيما بينهم في التقرب إلى هذه المذاهب و الدعاية لها طمعا فيما نعرف ولا نعرف من المطامع التي تلتمس عند أصحاب المذاهب .

الثالث : إن قراءة هذه الصحف و الكتب و سامعي هذه الإذاعات و مشاهديها ليسوا دائما على ثقة فيما يقرؤون فيها أو يسمعون أو يشاهدون (...) ، وعندما يفقد الإنسان ثقته في المصدر الذي يتلقى عنه ، فإن ما يردده هذا المصدر من معلومات و معارف يفقد أثره في النفوس و تأثيره فيها ، ومع هذا الاعتبار فلن يبق لهذه الوسائل قدرة على منافسة المسجد في جدية الكلمة و قداستها.

و ما دام الأمر على ما ذكرنا ـــ فليس في المجتمع بالغا ما بلغ من الرقي ـــ مؤسسة أو مكان يشبه المسجد أو يدانيه في قوة تأثيره في الناس ، وفي سرعة استجابة الناس لما يسمعون فيه "[1].

و ما قيل لا نقصد به المسجد على صورته الحالية و التي أصبحت بعيدة عن طبيعته و وظيفته بسبب ما سلط عليه من أعدائه ومن بني جلدته من ضعاف النفوس ، وإنما القصد موجه نحو المسجد في صورته المنشودة و المستقبلية التي نتطلع إليها من خلال هذا البحث .

[1] علي عبد الحليم محمود ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 127 ، 128 ، 129 .

المبحث الثاني

المسجد المنشود لنهضة الأمة

- المسجد المنشود في البلدان الإسلامية
- واجبنا نحو المسلمين في الشتات

المسجد المنشود في البلدان الإسلامية:

المسجد المنشود في البحث هو المسجد الذي يستطيع أن يعيد روح الإسلام للمسلمين ، ويؤثر فيهم وفي تفكيرهم في زحمة تسارع الحياة و الانشغال بها و كثرة وسائل العيش و اختلافها ، فهو مربط الفرس و ملجأ المسلم في كل زمان و مكان مهما كانت الظروف ، لذلك وجب أن :

" يمد رواده بالكلمة المكتوبة ـــ فضلا عن الكلمة المسموعة ـــ عن طريق الكتاب و الكتيب و النشرة التي يقوم بإعدادها القائمون على العمل في المسجد من العلماء المسلمين ومن المتخصصين في مختلف المجالات التي تمد الناس بالثقافة و المعرفة .

يستطيع المسجد أن يعد مكتبة (...) جامعة متنوعة منتقاة ، و أن يقوم على أمر هذه المكتبة مختص فاهم يزودها كل يوم بالجديد من الكتب و البحوث (...) التي تنشر في الصحف و المجلات الإسلامية ، فيصل المسلمين على الدوام بما يجري في العالم كله وفي الإسلامي بالذات من أحداث ، فلا يعيش أحد من المسلمين في عزلة »[1] خاصة و أن العالم قد أصبح قرية صغيرة في ظل التطور المذهل لوسائل الإعلام و الاتصال .

كما يمكن أن يلعب المسجد دورا كبيرا في مجال التعليم " فعلى سبيل المثال انتشرت في عصرنا الحالي ظاهرة الدروس الخاصة للطلاب - في مختلف المراحل التعليمية - و أولى بالمسجد أن ينشط إلى مساعدة الطلاب باستقطاب الأساتذة في كافة المراحل [التعليمية] حتى الجامعية تيسيرا على الطلاب و جمعا لهم في مكان آمن ، يستظهرون فيه دروسهم و يجدون فيه المرجع من الكتاب في المكتبة و الأستاذ المتخصص" [2]. فتكون هذه الخدمة العلمية قد تمت عن طريق المسجد.

ومما هو مطلوب من المسجد أيضا أن يبحث القائمون عليه عن القادرين من المصلين على التحدث و التوجيه ، " فيقومون بإعداد محاضرات في فروع متنوعة من المعرفة كالطب الوقائي ، و التوعية الصحية ، و الأمراض و أعراضها ، وما إلى ذلك مما يعود على جمهور المسلمين بالنفع و الفائدة ، وكذلك الأمر فيما يتصل بالتربية ، فإن من النافع حقا أن يسمع الآباء من المسجد بعض الآراء التربوية التي يمكن أن يستفيدوا منها في توجيه أبنائهم و تربيتهم تربية إسلامية راشدة . وفي كل

[1] علي عبد الحليم محمود ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 192 .
[2] نوبي محمد حسن ، "مرجع سبق ذكره " ، ص 151 .

هذه المحاضرات ينبغي أن تكون هناك فرصة للمرأة المسلمة لتسمع و تستفيد في المكان المعد لها في المسجد "[1].

" و إذا استطاع المسجد أن يعد مكانا ملحقا به على درجة من الاتساع ومن الجمال ، وينسق بحيث تغطي أرضه الحشائش و يصلح لأن يمارس فيه بعض الشباب المسلمين ألوانا من الرياضة البدنية الخفية التي تبني أجسامهم و عقولهم في ظل المسجد وروحه ، مع الاستفادة من هذا الاتساع في صلوات الجمع فإن هذا المكان يستهوي الشباب و يحول بينهم وبين التسكع في الطرقات وما يترتب عليه من مأثم و حرمات ، ويحول بينهم وبين ارتياد أماكن اللهو و الفساد ، عندئذ يحس الناس بأن المساجد في حياتهم ، وعندئذ يكون المسجد قد أدى جزءا من وظيفته في المجتمع الإسلامي "[2].

غير أننا نود أن نشير إلى نقطة مهمة ربما تفهم خطأ من تصورنا لمسجد المستقبل ، وهي أن يتحول المسجد إلى ناد متعدد الوظائف ويفقد بذلك بعضا من آدابه، الفكرة ليست هذه ، وإنما هي نقل روح المسجد إلى كل هذه المرافق حتى تجذب الناس و الشباب خاصة عن أماكن اللهو و المجون و تضييع الوقت ، وتصلح من أفكارهم و عقيدتهم و أخلاقهم التي ضيعوا بضياعها مجد أمتهم ، يقول أحمد شوقي :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

" وإذا استطاع المسجد أن يفتح أبوابه للناس طوال النهار و جانبا من ليل ينتهي بصلاة العشاء ، وكانت مرافقه الملحقة به عاملة نشطة تؤدي للناس (...) ما يجب أن يكون من صميم عملها ، فان المسجد حينئذ يدخل على الناس بيوتهم وعقولهم و حياتهم كلها و يصبح المسجد حينئذ مؤسسة إسلامية ايجابية في حياة المسلمين "[3].

وإذا أردنا أن نحبب الناس في المسجد وفي ارتياده ، فلنحدثهم فيما يعود عليهم بالنفع في دنياهم و آخرتهم ، صغارا و كبارا ، رجالا و نساء و نزودهم بما يرفع من مستواهم العلمي ، الثقافي و المعرفي ، ولن يتأتى هذا إلا إذا قمنا بتكوين و تأهيل القائمين على العمل في المسجد بدءا من إمام المسجد و خطيبه إلى آخر متطوع ملتزم بعمله.

[1] - علي عبد الحليم محمود ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 214 .
[2] - "المرجع نفسه " ، ص 194 .
[3] " المرجع نفسه" ، ص 194 .

" إن واقع الخطباء في المساجد (...) واقع مـريض (...) يحتـاج إلى جهـود ضـخمة و إصلاحات كثيرة ، و يحتاج إلى إعداد جديد يلائم أحوال المسلمين و يلائم وظيفة المسجد ، وما هي عليه من جلال و خطورة و ايجابية . فكيف نعد خطيب المسجد و إمامه؟ "[1].

خطيب المسجد اليوم : إما رجل لم يستعد للعمل الجليل الذي كلف به و المتمثل أساسـا في خطبة الجمعة و خطبة العيدين ، ونقصد بالاستعداد أن يكون في مستوى الداعي المبلـغ المخلـص و العالم الصادق التقي ، فتكرر خطبة الجمعة كل أسبوع معناه أن هذا الأسبوع قد حمل إلى المسـلمين تغيرات و تطورات و هزائم و انتصارات ، ولا يستطيع خطيب المسجد أن يتجاهل الحديث عنها أو يسكت عن تبليغها .

تلك أهمية خطبة الجمعة أو خطبة كل عيد من العيدين ، فعدم الاستعداد لدى الخطيب يعني تجاهل الأحداث أو جهل كيفية تبليغها للناس باللجوء إلى الحديث عما هو معروف لجمهور المسلمين . وفي هذه الحالة ينصرف الناس عنه و بسببه عن المسجد لأنه رمز التخلف و الجهل .

و إما أن يكون خطيب المسجد لم يحصل شيئا من الوسائل و الأدوات التي تؤهلـه للقيـام بمهامه[2] ، لذلك علينا أن نحسن اختيار خطيب المسجد وإمامه لأنه " يحدث الناس بكتاب الله و سـنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، (...) فلابد أن تظل له في نفوس المسلمين المكانة التي تحمل الناس على احترامه و تقديره و الاستجابة إلى كل ما يدعوهم إليه و إن أي مساس بهذه المكانة في نفوس النـاس ينعكس عليهم (...) تمردا على الحق ومروقا من الآداب و الأخلاق الـتي يـدعو إليهـا الـدين الحنيف"[3].

ومن جهة أخرى على خطيب المسجد أن يعرض على الناس وجهة نظر الدين في كـل مـا يطرأ على الأمة الإسلامية من أحداث لأنه بما أتاح الله له من علم بكتابه و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أمين على أن ينقل إلى الناس صورة عما يجري في العالم الإسلامي و يدعوهم إلى التعـاون و البذل في سبيل نصرة الإسلام و لأن أعداء الدين يصرون على حرب المسـلمين و خلـق المتاعـب والمشكلات في طريقهم ، وليس بين المسلمين من هو أولى من خطيب المسجد في تبصيرهم بأعدائهم

[1] " المرجع السابق" ص 229 .
[2] ينظر : " المرجع نفسه" ، ص 227 .
[3] " المرجع نفسه " ، ص 223 .

و بوسائل هؤلاء الأعداء في حرب الإسلام و المسلمين ، و ليست هناك فرصة أحسن ولا أقرب من هذه الكلمة الأسبوعية "خطبة الجمعة "[1].

" أما بقية العاملين في المسجد ، مثل الأخصائي الاجتماعي وأمين المكتبة (...) و [المشرف على توجيه الشباب] و محفظ القرآن الكريم ، هؤلاء جميعا لابد أن تعد لهم المناهج التي تؤهلهم للقيام بأعمالهم على الوجه الأكمل وكل تقصير في إعداد القائمين على العمل في المسجد إنما هو تقصير في حق المسجد نفسه وفي حق المجتمع المسلم كله "[2].

ومن البديهي أن يكون جميع العاملين في المسجد على صلة وثيقة بغيرهم ممن يعملون مثل عملهم وذلك من خلال إدارة المسجد باستخدام شبكة المعلومات و تيسير الاتصال عن طريقها ، وربط مختلف المساجد بالمؤسسات الدينية الفعالة في المجتمع الواحد و حتى بين الدول كوننا أمة إسلامية واحدة ، وبهذا تكون لنا هويتنا الثقافية النابعة من ديننا الإسلامي ، و نستطيع عندها أن نحقق إدارة ناجحة للمسجد[3].

" وجدير هنا أن نشير إلى تجربة المجلس الإسلامي في سنغافورة ، والذي أوجد أسلوبا من خلال الكمبيوتر في عمل إدارة متكاملة للمساجد البالغ عددها سبعون مسجدا عن طريق ربطها مع بعضها ، مما حقق كفاءة في إدارة المسجد و القيام برسالته "[4].

هذه صورة المسجد كما نأملها في المجتمع الإسلامي المعاصر ، خلية حية من جسم الأمة الإسلامية ، لا تتوقف عن العمل و لا تكف عن النشاط ، ولا تنقطع عن التوجيه و الإرشاد ، ولا تنسى — و لو لوقت قصير — أن المسجد في المجتمع المسلم بمثابة المضغة في جسد الإنسان، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله.

---

[1] ينظر : " المرجع السابق" ، ص 223 ، 224 .
[2] " المرجع نفسه " ، ص 243 .
[3] ينظر : نوبي محمد حسن ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 151 .
[4] " المرجع نفسه " ، ص 157 .

واجبنا نحو المسلمين في الشتات:

بفضل من الله ومنه ، انتشر الإسلام و سينتشر في بقاع الأرض كلها ، ونحن نرى اليوم الجماعات الإسلامية في كل قارات العالم، بل حتى في بعض المناطق المعزولة والتي لا نتوقع وصوله إليها،نجد من يعرف الإسلام ويدين به، لذلك من واجبنا نحو الجماعات الإسلامية هذه أن ننشئ المساجد لهم لأنها الحصن الحصين للإسلام ، فالمسلمون الذين يعيشون في هذه البلاد يعيشون وسط بحر من غير المسلمين ، وهذا البحر شئنا أم أبينا سيجرف الكثير منهم في طريقه ، و الخطر كل الخطر على أولاد المسلمين الذين يعيشون في هذا الوسط و يتزوجون من غير المسلمات في غالب الأحيان، لينتهي المطاف بترك هذا الدين الذي ارتضاه الله للعالمين ، فلو أن هناك مسجدا قائما دائما بإمامه المتعلم المتمكن وبرسالته التي بدأ بها الرسول صلى الله عليه و سلم لما هاجر إلى المدينة لما حدث و يحدث و سيحدث ما نراه من انسلاخ أبناء المسلمين في غير الديار الإسلامية عن دينهم [1].

لهذا أوصى مؤتمر المساجد الذي عقد في جدة سنة 1395 هـ / 1975 م بإنشاء لجنة إسلامية عامة خاصة بالمساجد تعنى بمشاكل المسجد في العصر الحديث ، ووضع خريطة لمساجد اليوم في أطراف دار الإسلام وفي جماعته المتناثرة وسط جماعات غير إسلامية ، وعلى هدى من هذه الخريطة نسير في إنشاء المساجد بدءا من حدود العالم الإسلامي وفي خارجه، لأن البلدان العريقة في الإسلام أهلها مسلمون ولا خوف عليهم ، و الصلاة كما نعرف تؤدى في كل مكان ، ومن ثم فإن لجنة مساجدية إسلامية عليا يمكن أن توجه الجهد و الأموال إلى إنشاء المساجد في المواضع التي يدور فيها الصراع على مصير الإسلام [2].

ولكي يؤدي المسجد وظيفته و يبلغ رسالته على النحو الذي كان يقوم به في العصور الإسلامية الأولى ، ينبغي التفكير في طراز آخر من المساجد في هذه الأماكن بحيث يصبح المسجد " مركزا ثقافيا و اجتماعيا ، و لابأس من أن يضاف إلى مبانيه جزء يمكنه من أن يقوم ببعض الوظائف الضرورية للجماعة الإسلامية الصغيرة المتفردة بنفسها في وسط غير مسلم مثل إجراءات إعلان الدخول في الإسلام و تسجيل الزواج بين المسلمين ، وتسجيل المواليد لرعايتهم إسلاميا عندما يبلغون سن الإدراك ، وهذا سيقضي بقيام منشآت معمارية إسلامية من طراز جديد يقوم عليها رجال

[1] ينظر : حسين مؤنس ، " المساجد " ، ص 307 .
[2] ينظر : " المرجع نفسه " ، ص 274 ، 275 .

مكونون تكوينا جديدا يمكنهم من القيام بدور الإمام الديني و الاجتماعي للجماعة [الإسلامية في غير ديار الإسلام](... .) "[1].

و يمكننا أن نتصور هيئة المساجد فنقوم " بإنشاء المركز الثقافي و المركز الاجتماعي على جانبي بيت الصلاة ، ومن الممكن أن يتضمن أي من المبنيين قسما خاصا بالأطفال و الصبيان ، فيه قاعتان أو أكثر لدروس الدين و اللغة العربية التي يتلقونها ، و قاعة واسعة لاجتماع الصغار ، ولعبهم حتى يألفوا مبنى المسجد و يحبوه ، وتعتاد أقدامهم التردد عليه (...) و إذا أردنا أنشأنا مستشفى أو عيادة خارجية في مساجد البلدان الإفريقية و الآسيوية أو أمريكا اللاتينية ، ولابد مع كثرة نفقات المساجد و نظافتها و صيانتها من أن يكون المسجد قائما بنفسه اقتصاديا أو قائما على الأقل بجانب كبير من هذه النفقات (...) "[2]، ولنا في ذلك نموذج المسجد الجامع في باريس ، وهو آنق مساجد أوربا ، تلحق به مجموعة من المباني " هي معهد الدراسات الإسلامية و مطعم وسوق وحديقة جميلة. و المسجد وملحقاته يعتبر هيئة مستقلة تديرها هيئة خاصة بها يرأسها مدير جزائري باسم بلدية باريس (...)[وهي] تحسن إدارة هذه المجموعة الدينية الثقافية المعمارية في قلب العاصمة الفرنسية . فالمسجد دائما في أحسن حال من النظافة و الرعاية ، و الصلوات تقام فيه بنظام تام ، و الأئمة و الخطباء دائما من خيرة الناس "[3].

هذا هو تصورنا لمسجد المستقبل الذي بفضله ستنهض الأمة من جديد وما ذلك على الله بعزيز ، فقط يجب تصحيح النوايا و الإخلاص في العمل و التوكل على الله حق التوكل ، فلا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، سنة الله في خلقه.

[1] " المرجع السابق " ، ص 308 ، 309 .
[2] " المرجع نفسه " ، ص 309 .
[3] " المرجع نفسه " ، ص 299 ، 300 .

الفصل الثالث

بنية المسجد حضارية

المبحث الأول

عمارة المسجد البنائية بين الثوابت و المتغيرات

- التعريف بالعمارة العربية الإسلامية
- العناصر الرئيسة في عمارة المسجد
- العناصر الإضافية على عمارة المسجد

التعريف بالعمارة العربية الإسلامية :

كان الفتح الإسلامي لمختلف أقطار العالم نقطة بداية في فن العمارة العربية الإسلامية حيث" كان لكل كيان جغرافي قبل الإسلام عمارته الخاصة به التي تعبر عن ثقافته الخاصة و عن السياقات المختلفة المصاحبة لها . غير أن هذه الأقاليم و الكيانات انصهرت جميعا بعد الفتح الإسلامي في نسيج معماري واحد له سمات خاصة قد تبدو شديدة الوضوح أحيانا ، و قد تصعب على الفهم أحيانا أخرى . هذا هو التحول بمفهومه الحضاري الشامل في العمارة الإسلامية "[1]. غير أن مفهوما بهذه الشمولية في التاريخ و الجغرافيا و آليات البناء و السياقات المصاحبة لها بحاجة إلى التفصيل للوقوف على صور هذا التحول و آلياته بشكل أكثر وضوحا . فماذا نقصد بالعمارة الإسلامية ؟ .

فن العمارة قديم قدم الإنسان، و هو في أصله تلبية لحاجة أساسية من حاجات الحياة. تتأثر العمارة بالثقافة و العقيدة الدينية التي تؤمن بها امة ما ، لهذا نجد العمارة الإسلامية قد تأثرت بالثقافة العربية و بالعقيدة الإسلامية .

تعود نشأة العمارة العربية الإسلامية إلى بداية استقرار المسلمين بالمدينة المنورة حيث بدأت بسيطة و سارت بطيئة ، ثم تطورت باستلهام فنون البلدان المفتوحة ، و الاستعانة بخبرة أهلها ، و يمكن أن نميز ثلاث مراحل أساسية قطعتها العمارة العربية الإسلامية في تطورها و هي

أولا : مرحلة البساطة و البطء و تبدأ ببناء الرسول لمسجده بالمدينة بعد الهجرة مباشرة حيث اكتسى المسجد طابعا بسيطا ، و كذا الدور السكنية نظرا للعوامل التالية :

1 - الاشتغال بحركة الفتوح الإسلامية.

2- صرامة التقاليد ، حيث كان للعرب في شبه الجزيرة فن القول ، و لم يكن لهم فن العمارة ، غير أن ذلك لا ينطبق على العرب في اليمن ، و الشام ، و العراق ، أين كانت لهم حضارة راقية و فن معماري متطور تدلنا عليه قصورهم و سدودهم و حصونهم ، و إنما ينطبق ذلك على العرب البدو الذين لم يتمكنوا من تطوير العمران لترحلاهم، غير أن هذه العمارة لم تكن الأساس الأول لانطلاق العمارة الإسلامية ، إنما مسجد الرسول في المدينة هو الذي كان نقطة البداية في فن العمارة الإسلامية.

---

[1] هاني محمد القحطاني ،"مبادىء العمارة الإسلامية و تحولاتها المعاصرة -قراءة تحليلية في الشكل - " مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت - لبنان ، ط1، 2009م ، ص 183.

3- بساطة الخلفاء الراشدين اللذين اهتموا بالتمكين لدين الله و بالفتوحات شرقا و غربا

4- عدم توفر الخبرة ، و الإمكانيات الأساسية لإقامة المشاريع العمرانية الضخمة .

ثانيا : مرحلة التقليد و التمثل :و تبدى بتحول مركز الخلافة من الحجاز إلى الشام ، و تغير نظام الحكم من الشورى إلى الملكية الوراثية ، و قد احتضن العرب المسلمون بادئ الأمر حضارة شعوب البلدان المفتوحة ، و قلدوها ، و ما لبثوا إلا قليلا حتى صار كل شيء عربيا .

ثالثا: مرحلة الإبداع و العطاء : بدايتها الحقيقية تعود إلى أواخر القرن الأول الهجري و بداية الثاني . تكونت العمارة الإسلامية العربية حقيقة في الشام، و بلغت الذروة في العصر العباسي . لقد استطاع العرب المسلمون بعد الاستحواذ على قواعد ، و أنماط فنون البلدان المفتوحة أن يصهروا أصولها ، و يصيروها فنا معماريا عربيا إسلاميا خالصا .

أقسام العمارة العربية الإسلامية :

تنقسم العمارة العربية الإسلامية بحسب وظائفها الأساسية إلى :

أولا : العمارة الدينية : و نعني بها المساجد و الجوامع و هذا ما يهمنا في بحثنا حيث شادها المسلمون مبكرا بداية من المدينة المنورة و انطلاقا نحو البصرة ، الكوفة ، الفسطاط ، و القيروان و غيرها من البلدان المفتوحة .

ثانيا :العمارة المدنية: تتمثل في القصور ، الأضرحة ، الحمامات ، الأحواض ، الأسوار ، و المباني الرسمية الحكومية و غيرها .

ثالثا : العمارة الحربية : و تتمثل في الحصون و القلاع و الأربطة .[1]

[1] ينظر : إسماعيل سامعي : "مرجع سبق ذكره" ، ص 331 ، 332 ، 333

مميزات العمارة العربية الإسلامية :

تمتاز العمارة العربية الإسلامية بإيحاءات عندما نتأمل عناصرها ، فهي تثير فينا شعورا بالاستئناس و الطمأنينة :

- فالشكل العمودي يوحي بتسامي الروح .
- الشكل الأفقي يوحي بالثبات و الاستقرار.
- المنارة توحي بالامتداد أو الاتساع الفضائي نحو المطلق .
- الهلال توحي و كأنها رمز الوسطية في الإسلام .
- المحراب رمز للطموح الديني و التركيز.

هذه الإيحاءات كانت لها قوانين روحية تتحكم في شكلها و إدراك إسرارها1 .

مسجد الرسول أبو المساجد:

أول ما بني في العمارة العربية الإسلامية المسجد النبوي لما هاجر الرسول من مكة إلى المدينة ، و لعل السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال : لماذا المسجد أول بناء يقوم المسلمون باختطاطه في مدنهم الجديدة ؟.

و جوابا ، نشير إلى إن المسجد يعد النموذج الأول في العمارة العربية الإسلامية و أن تطور عمارته يمثل تطورا للحضارة العربية الإسلامية في شكلها المادي الملموس و بذلك أصبح المسجد بهذه الصفة مؤسسة حضارية ترمز للإسلام.

و عليه يمكن التأكيد على أن المساجد كانت أساسا للتنظيم العمراني للمدينة العربية الإسلامية و المركز الديني الذي تلتف حوله بقية مراكزها العمرانية، والقلب النابض بالحياة يضخ فيها النشاط و الحركة و هو الذي طبع المدينة المفتوحة بالطابع العربي ، باعتباره المركز الديني و الثقافي و الاجتماعي و الاقتصادي لها ، و قد اتخذ العرب من مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم في المدينة نموذجا رائدا في بنائهم لمساجدهم الأخرى . فقد كان هذا المسجد ببساطته التي بني بها يعبر عما وضعه الإسلام من تعاليم دينية .[2]

[1] ينظر: إياد الصقر ، "الفنون الإسلامية " ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع-عمان-الأردن ، ط1، 1424ه /2003م ، ص 157.
[2] ينظر : يحيى احمد الكعكي ، "مرجع سبق ذكره "،ص 46 ، 47 ، 48 .

و المسجد الذي بناه الرسول صلى الله عليه و سلم بالمدينة عبارة عن بناء مستطيل الشكل يتكون من صحن ، يحيط به سور ، و في المقدمة سقيفة من سعف النخل لوقاية المصلين من وهج الشمس. أما بناية المسجد فحدد اتجاهها بمكة ، لان الكعبة هي قبلة * العالم الإسلامي، و ذلك كي يتخذ المصلون جميعا مواضعهم الصحيحة باتجاه الكعبة . و تكون الأعمدة في نفس الوقت صفوفا تمتد من صحن المسجد إلى جدار القبلة و تكون صفوف المصلين عمودية على صفوف الأعمدة و موازية لجدار القبلة [1].

ثم تطورت عمارة المسجد و زادت فيه أجزاء يظن بعض الباحثين أنها اقتبست عن بعض أجزاء العمارة المسيحية* و لم تلبث المساجد أن أصبح لها نظام لا تكاد تخرج عنه فكان معظمها يتكون من ساحة كبيرة مكشوفة في الغالب يتوسطها بركة ماء تعرف بالميضأة و يحيط بها أربعة أروقة تسندها الأعمدة و احد هذه الأروقة ، الرواق المتجه نحو الكعبة و هو واسع جدا و يدعى الحرم و فيه المحراب و المنبر [2].

"ويقع المنبر إلى يمين المحراب ، و هو منصة قد تصنع من الخشب يصعد إليها بدرجات .و قد اتخذ الرسول منبرا ذو ثلاث درجات ، أما في العهد الأموي فأصبح للمنبر سلما ذا تسع درجات ، و لا يصعد المنبر سوى الإمام . "[3]

إما فيما يخص المقصورة يذكر "السمهودي نقلا عن ابن زبالة ، و ابن شبة أن أول من عمل المقصورة بالمسجد النبوي بلبن ، عثمان بن عفان ، و أنها كانت فيها كوى ينظر الناس منها إلى الإمام ، إما عن السبب الذي من اجله عمل عثمان بن عفان المقصورة ، فيقول مالك بن انس : انه

---

* "يقول الشعراوي (رحمه الله): ولما كان البيت الحرام بيت الله باختيار الله و كانت المساجد الأخرى بيوت الله باختيار عباد الله فكان و لابد أن يكون البيت الذي باختيار الله قبلة البيوت الأخرى"، عن : نوبي محمد حسن ، "مرجع سبق ذكره " ، ص 91 .

[1] ينظر: نبيلة حسن محمد ، "في تاريخ الحضارة الإسلامية " ، دار المعرفة الجامعية ،ص 14 ، 15 .

* " ففي عمارة المسجد لا توجد هناك أجزاء غامضة أو مختفية أو لا تحتاج إلى الضوء لإبرازها أو لإضفاء سمة الغموض و الرهبة عليها كما هو الحال في بعض أواع العمارة الدينية . فلا يوجد في المسجد قدس أقداس أو غرف مختفية تحت الأرض أو أجزاء معمارية أو أماكن غامضة في نهاية ممرات لا يصل إليها كل الناس بل في عمارة المسجد كما هو في عمارة المنزل و المدرسة و السبيل...و اغلب العناصر المعمارية يتحقق الوضوح التام و الاتساع الواضح ...لا إيهام أو غموض كما هو الحال في الإسلام نفسه كعقيدة لا غموض و لا انغلاق و لا وساطة بين العبد و ربه بل علاقة واضحة مباشرة متصلة دائما في أي وقت شاء و في أي مكان و في أي زمان ".عن : أنصار محمد عوض الله رفاعي ، "الأصول الجمالية و الفلسفية للفن الإسلامي " مكتبة الإسكندرية ، 1423ه /2002م ص 280.

[2] ينظر: أنور الرفاعي :" تاريخ الفن عند العرب و المسلمين " دار الفكر ، ط2 ، 1397ه/1977م ، ص 51.

[3] نبيلة حسن محمد ،"مرجع سبق ذكره " ، ص 16.

لما استخلف عثمان بن عفان بعد مقتل عمر بن الخطاب ، عمل مقصورة من لبن ، و كان يصلي فيها بالناس خوفا من الذي أصاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، و هي مقصورة صغيرة " [1].

و مات عثمان " و ليس في المسجد شرفات ولا محراب ، فأول من احدث المحراب و الشرفات عمر بن عبد العزيز "[2] و هو الذي جعل للمسجد النبوي المنارات فقد "ذكر ابن هشام أن عمر بن عبد العزيز جعل لمسجد الرسول صلى الله عليه و سلم حين بناه أربع منارات في كل زاوية منارة ، و ذكر ذلك السمهودي أيضا ، و أشار إلى إن عمر بن عبد العزيز قد بنى للمسجد أربع منارات في زوايا المسجد الأربعة ، و إن إحدى هذه المنارات كانت تطل على دار سليمان بن عبد الملك ، فلما حج سليمان بن عبد الملك إذن المآذن فاطل على داره ، فأمر سليمان بهدم هذه المنارة فهدمت ، فأصبح للمسجد بذلك ثلاث منارات فقط "[3]

هذه هي عمارة المسجد النبوي البنائية ، و على منواله بنيت المساجد في العالم الإسلامي و الجوامع التي تعد استمرارا "لتلك المساجد المبكرة في تاريخ الإسلام .لقد بقي جوهر هذه العمارة كما هو ، و كل ما في الأمر إن تلك المساجد المبنية من اللبن قد ازداد ارتفاع جدرانها ، و كثرت أعمدتها ، و اتسعت مساحتها ، و تم تشذيبها " [4].

"كان مسجد الرسول في المدينة الهيكل الأساسي الذي لا بد من المحافظة عليه ، و لكن لم يكن هناك مفر من تضخيمه حتى يصبح مظهرا مناسبا للدولة الكبرى التي قامت على الإسلام و مظهرا من مظاهر حضارته . تلك كانت معادلة عسيرة التحقيق : الجمع بين البساطة و الفخامة .

و رغم ذلك فقد عرف المعماريون كيف يحلون هذه المعادلة- التي تبدو مستحيلة لأول وهلة – بتوفيق كبير ، فوجهوا همهم إلى التضخيم و التوسيع و المتانة في الأجزاء الدائمة الاستعمال من بيت الصلاة و الصحن ، و جعلوا الزينة و التجميل في غير متناول اليد ، و حرصوا مع ذلك على إن يكون ذلك في حدود ضيقة و على نحو يحفظ على المسجد وقاره ، و كان عليهم-إلى جانب ذلك –أن يأخذوا في الاعتبار الخدمات الأخرى التي كان لابد للمسجد أن يؤديها ".[5]

---

[1] احمد رجب محمد علي ، " المسجد النبوي بالمدينة المنورة و رسومه في الفن الإسلامي " ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، 1420ه/2000م ، ص 43.
[2] "المرجع نفسه " ، ص 51.
[3] "المرجع نفسه" ص 50.
[4] هاني محمد القحطاني ،" مرجع سبق ذكره" ص 192.
[5] حسين مؤنس ، " المساجد" ، ص 107.

لقد كان للحج السنوي إلى مكة من كافة إنحاء العالم الإسلامي الدور الفعال و المساعد بلا ريب عل وجود نظام تقليدي لبناء المساجد ، ذلك أن "الحاج كان في كل مدينة يمر بها يقوم بصلاته في مسجدها المحلي ، و إذا حدث إن كان هذا الحاج من رجال فن العمارة فانه لا يفوته أن يلاحظ رسم هذا المسجد . و مهما يكن من شيء ، فان المسجد الذي بناه محمد في المدينة سنة 622 يعتبر النموذج الأول لسائر المساجد الأخرى "[1].و على منواله بنى المسلمون المساجد في أي مكان فتحوه أو حلوا فيه .

[1] كريستي ارنولد بريجز ، " تراث الإسلام في الفنون الفرعية و التصوير و العمارة " ترجمة زكي محمد حسن ، دار المتاب العربي – سورية ، ط1، 1984، ص116، 117.

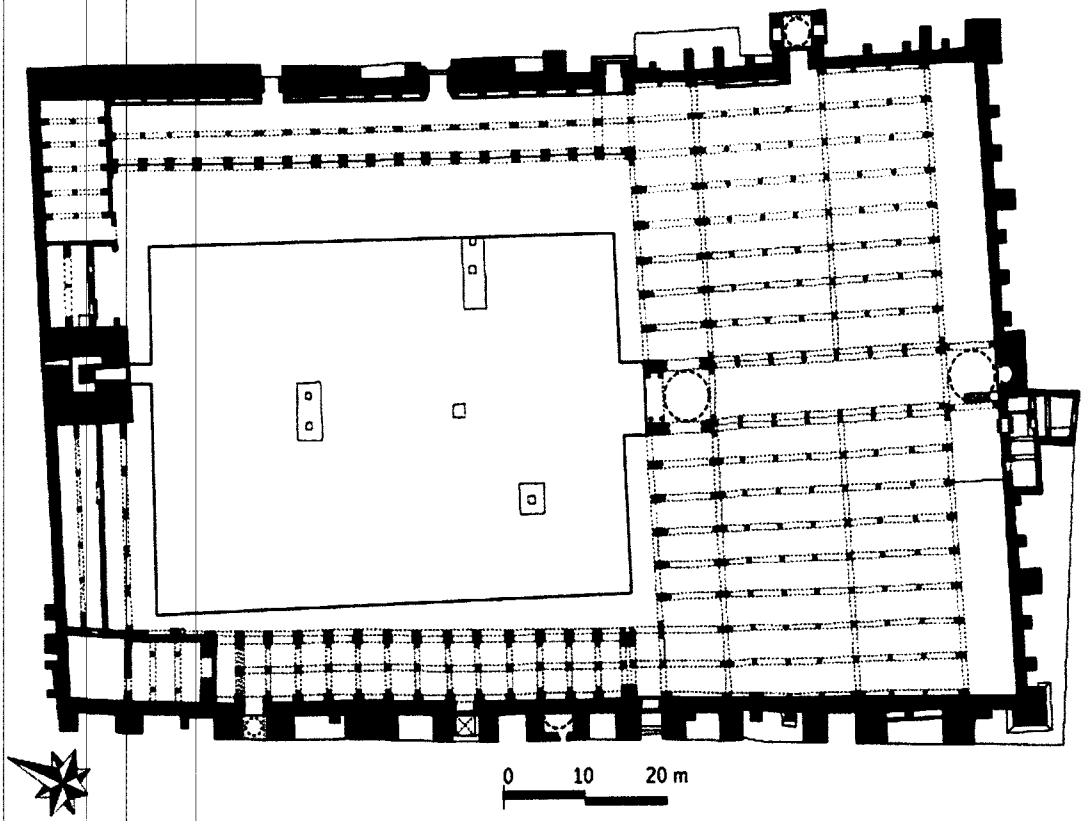

التصميم المعماري للجامع

رؤى ثلاثية الأبعاد لجامع القيروان الكبير

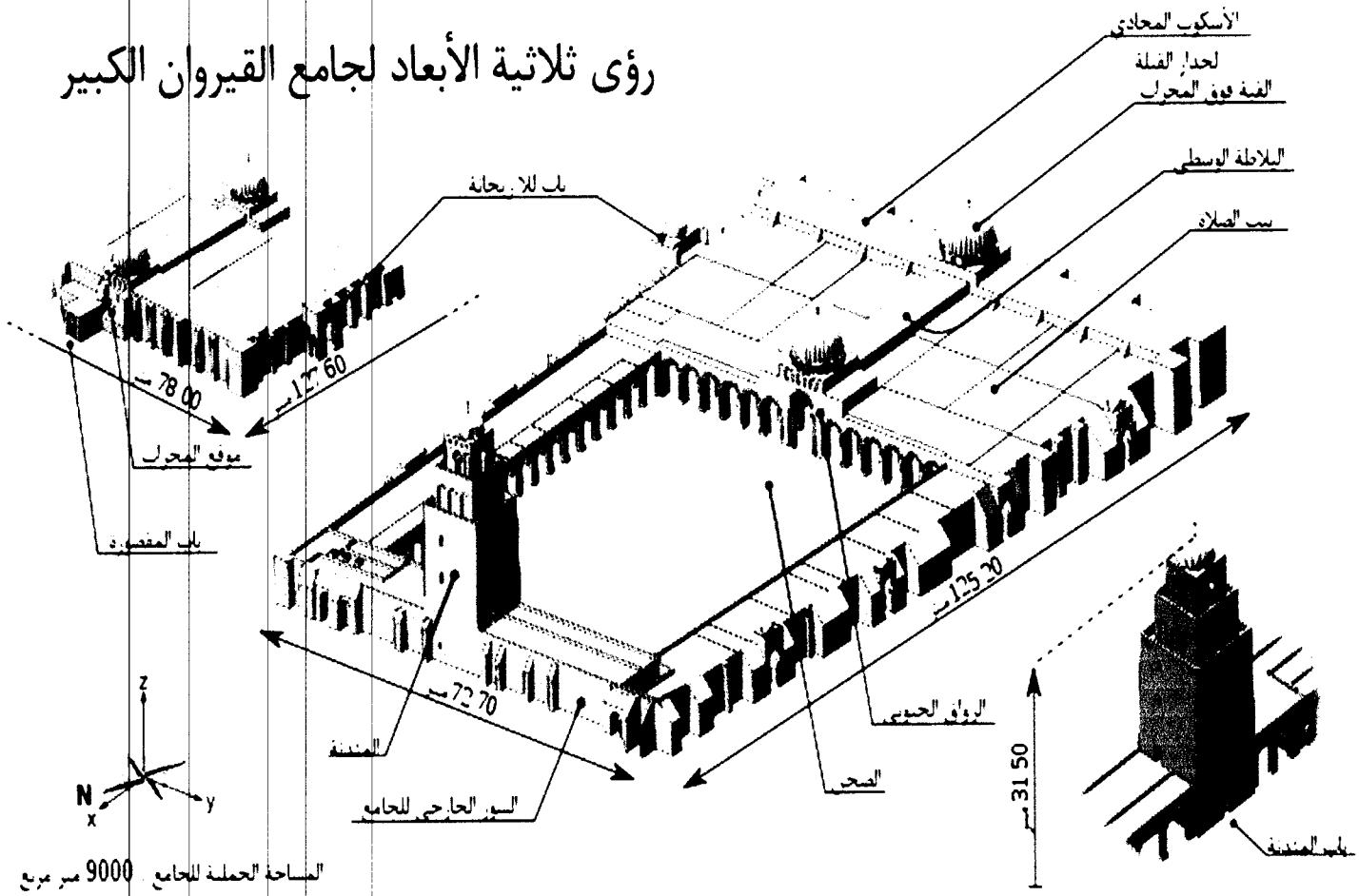

المساحة الحملة للجامع 9000 متر مربع

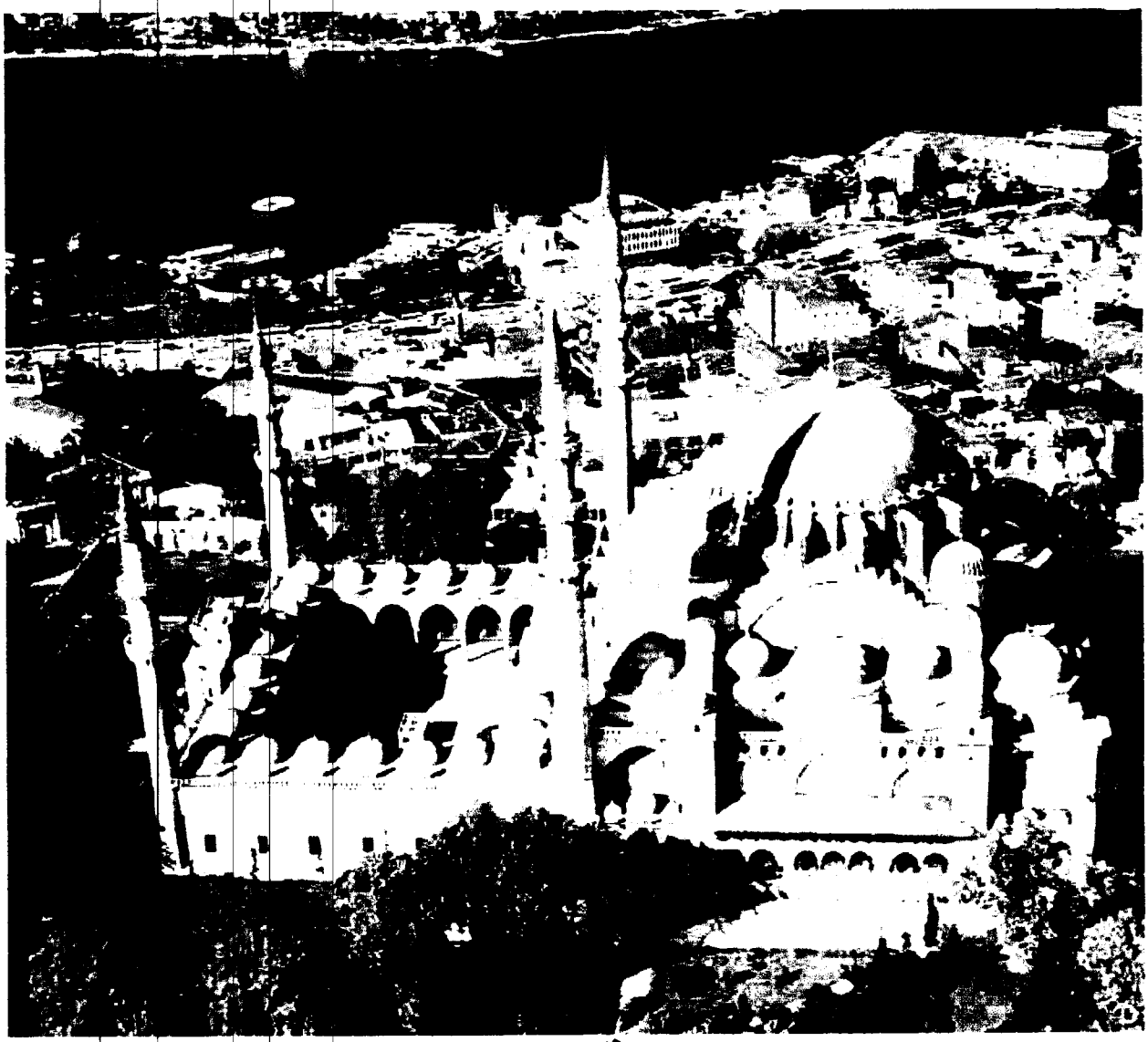

نظرة عامة لمسجد

العناصر الرئيسة في عمارة المسجد :

إذا أمعنا النظر في التصميم المعماري للمسجد النبوي كما أنشئ لأول مرة لوجدناه يضم العناصر الرئيسة التي لا يمكن أن يخلو منها أي مسجد و هي :

1- قاعة الصلاة : هو الجزء المسقوف من المسجد ناحية القبلة و يسمى أيضا الظلة أو الرواق *، يقف الناس فيه في استواء تام في صفوف بمحاذاة القبلة لأداء الصلاة ، و " قاعة الصلاة في المسجد ...عبارة عن صفوف متوازية من العقود و الأروقة ...الموازية لجدار القبلة التي تعمل على توليد ...فراغ أفقي ممتد بامتداد القاعة ... و نظرا إلى كثرة الأعمدة في قاعة الصلاة يختفي جدار المسجد أو يكاد " [1] هذا أفقيا أما عموديا ، " فما إن يدخل المرء قاعة الصلاة حتى يأخذ الفراغ المتجه إلى الأعلى بكل جوارحه . هنا تتكشف عمارة المسجد عن فراغ عمودي مهيب متجه نحو القبة و السماء ، حيث تصبح القبة سقف الجامع و سماءه و تلعب الإضاءة الطبيعية المتسللة في حزم ضوئية خافتة ، و هي تخترق محيط القبة ...من الأعلى وصولا إلى قاع المسجد ، دورا في بعث الحياة و الدفء في هذا الفراغ ".[2]

2- الصحن : هو ما يوجد بداخل المسجد من فناء غير مسقوف** و يقال له رحبة المسجد . في أول الأمر كان صحن مكانا واسعا ذو شكل مستطيل مكشوف ثم " أحيط [هذا الفراغ] من جهاته الأربع بصفوف من الأروقة و العقود ...حيث يشعر المرء في إثناء وجوده في الصحن بأنه

---

*"مصطلح الرواق هو المصطلح السائد و المتداول في الجزيرة العربية و العراق و الشام و مصر و أقطار المشرق الإسلامي ، بينما يقابله و يرادفه في أقطار الغرب الإسلامي مصطلح أخر هو البلاطة و قد عبر بذلك المصطلح الأخير –أي البلاطة- جميع رحالة الغرب الإسلامي من المغاربة و الأندلسيين ". محمد حمزة إسماعيل الحداد ، " مرجع سبق ذكره" ، ص 493.

" و في العادة تسمى المسافة المحصورة بين أربعة أعمدة بلاطة و الجمع بلاطات (...)، فإذا [قيل إن عرض مسجد ما] إحدى عشرة بلاطة فهمن من ذلك إن بيت الصلاة كان يتكون من رواق أوسط يؤدي إلى المحراب و خمسة أروقة على يمينه و مثلها على يساره .إذا قال المؤرخ نفسه أن طول المسجد في اتجاه المحراب كان ثماني بلاطات ، فمعنى ذلك أن عمق بيت الصلاة كان سبعت صفوف من الأعمدة موازية لجدار القبلة ويلي ذلك جدار القبلة و هو يقوم مقام صف الأعمدة الثامن الذي تقوم عليه البلاطة الثامنة ...و في العادة يكن الرواق الأوسط المادي إلى المحراب أوسع من سائر الأروقة... و قد يسمى بالمجاز القاطع . و قد اقترح احمد فكري في جزا المدخل ن كتابه القيم عن مساجد القاهرة و مدارسها قصر تسمية البلاطات على الأروقة الراسية أي التي تتجه متعامدة نحو جدار القبلة ، أما العرضية الموازية لجدار القبلة فيسميها الاساكيب و مفردها اسكوب : و هو تمييز مشكور لأنه يضيف تحديدا ضروريا إلى مصطلح العمارة الإسلامية " ،حسين مؤنس ،"المساجد" ، ص 77.

[1] هاني محمد القحطاني ، " مرجع سبق ذكره " ص 84.

[2] "المرجع نفسه"، ص 102.

* *"من أهم التغيرات التي طرأت على عمارة المسجد في الاناضول تغطيته بكامل مسطحه نظرا للظروف المناخية ، مما لا يسمح بنظام المسجد التقليدي ذي الصحن المكشوف ، بيد أن المهندس التركي احتفظ بفكرة التصميم المعماري التقليدي للمسجد ذي الصحن المكشوف بان جعل مساحة الجزء...الأوسط خالية من الأعمدة ، تفوق مساحتها مساحة الايوانات ، و هو ما يجعل هذا الجزء و كأنه صحن مغطى بسماء رمزية"، ثروت عكاشة ،"القيم الجمالية في العمارة الإسلامية " ، دار الشروق-القاهرة-،ط 1 ،1414ه /1994م،ص 116.

[3] هاني محمد القحطاني " مرجع سبق ذكره " ، ص 83.

وسط حيز فراغ محكم الإغلاق من جميع الجهات ... ."[1] و كان البناء يحتويه .يستخدم صحن المسجد في استيعاب المصلين إذا زادوا عن طاقة المسجد ، و بذلك يصبح امتدادا لبيت الصلاة في الكثير من الأحيان خاصة في المناسبات الدينية .

3- القبلة : هي جداره المتجه نحو الكعبة ، و كانت قبلة مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم الأولى ناحية بيت المقدس ثم حولها الله تعالى باتجاه الكعبة ، فتحولت في هذا المسجد من الشمال إلى الجنوب "و بقي حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة "[2]، و لهذا يقال له مسجد القبلتين [3].

"و قد تعود المسلمون أن يمروا بموضوع القبلة دون أن يلاحظوا أنها ظاهرة عبادة ينفرد بها الإسلام دون غيره من الأديان ، فلا تعرف اليهودية أو النصرانية أو البوذية (...) شيئا يشبه القبلة ، إنما يصلي أهل هذه الديانات في أي اتجاه و يبنون معابدهم بحسب معارفهم من الهندسة و ما تتطلب ."[4]

4- المحراب : عبارة عن تجويف أو حنية تكون في جدار صدر المسجد .

في المساجد الأولى كان يكتفى بوضع علامة مثل اللواء تعين المكان الذي يقف فيه الإمام ليصلي بالمسلمين ،"واستعمل رسول الله صلى الله عليه و سلم الحربة (...) في تحديد اتجاه القبلة إثناء الصلاة في الفضاء "[5].

لم تظهر المحاريب المحنية إلا خلال عصر الوليد بن عبد الملك و أصبح المحراب بعدها من العلامات المهمة في المسجد ، إذ به يهتدي الناس إلى اتجاه القبلة * خصوصا إذا كانوا غرباء من غير أهل البلد .و قد قيل إن المحراب "سمي بذلك لان المصلي يحارب الشيطان فيه بطاعة الرحمن " [6].

5- المنبر: في مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم كان المنبر أول الأمر مجرد ارتفاع في الأرض إلى جانب موضع المحراب ، حسب البخاري في كتابه الصلاة : إن النبي صلى الله عليه و

---

[2] نوبي محمد حسن ،" مرجع سبق ذكره" ،ص73.
[3] ينظر: حسين مؤنس ،"المساجد"، ص 61، 62 ، 63.
[4] "المرجع نفسه" ، ص 63.
[5] نوبي محمد حسن ،" مرجع سبق ذكره"،ص72.
* "ربما كان المحراب في ذاته فكرة مبتكرة فانه من المحتمل في بقعة من العالم يكثر فيها انتشار أمراض العيون أن يكون المحراب (...) بني على شكل حنية ليتيسر للأعمى أن يجده عندما يتحسس طريقه حول جدار المسجد و من المحتمل أيضا (...) أن يكون المسلمون قد استعاروا المحراب من الحنية التي توجد في صدر الكنيسة ،و التي تسمى باللاتينية apsis ".كريستي ارنولد بريجز ،" مرجع سبق ذكره" ، ص 137 ،138.
[6] نوبي محمد حسن ، "مرجع سبق ذكره"، ص 71.

سلم كان يصلي على منبره مما يدل على انه لم يكن على شكله الحالي أو قريبا منه ، ربما كانت بنية من الآجر . أما ميلاد المنابر الخشبية فكان بعد إنشاء المسجد بسنتين أو ثلاث [1] و يسمى "المنبر أحيانا بالعود و جدير بالذكر إن لفظ العود و الأعواد كان يطلق على كل ما يصنع من الخشب و يستعمل للقعود أو النوم " [2]

6- المداخل : كره أهل العلم تخطي الرقاب في المسجد ، لذلك يفضل أن تكون المداخل أو البوابات في الحائط الخلفي للمسجد ، "يؤكد ذلك ما روي عن انس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم [قال]: أتموا الصف المقدم ثم الذي يليه فما كان من نقص فليكن في الصف المؤخر. يضاف إلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في حرمة المرور بين يدي المصلي "[3].
من هنا جاءت ضرورة أن تكون مداخل المساجد في الحائط الخلفي أو الحائطين الجانبيين و يتجنب وضعها في الحائط القبلي .[4]

[1] ينظر: حسين مؤنس ، "المساجد" ، ص 72، 73 .
[2] "المرجع نفسه" ، ص 76.
[3] نوبي محمد حسن ، " مرجع سبق ذكره" ، ص 64.
[4] ينظر : "المرجع نفسه" ، ص 63 ، 64.

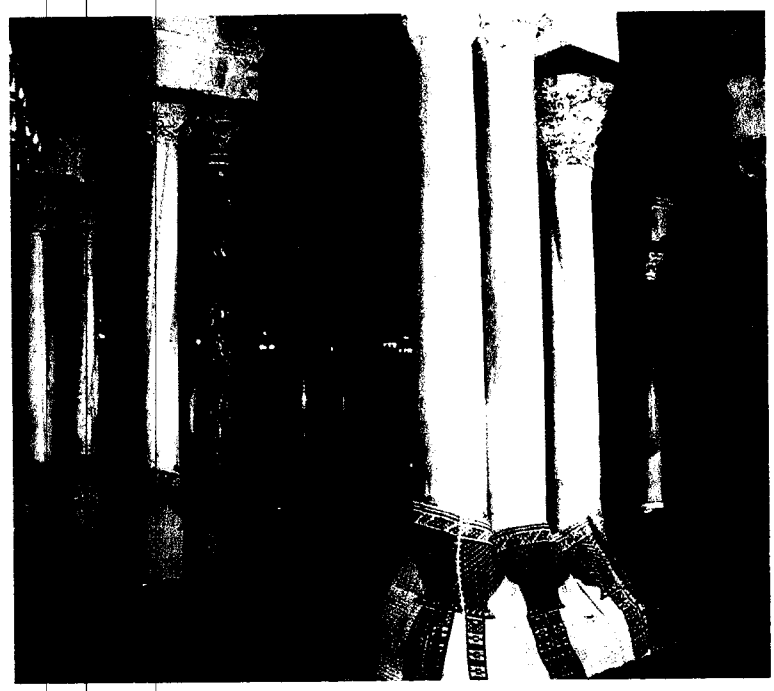

بيت الصلاة

المدخل الرئيسي لبيت الصلاة

صورة عامة عن الصحن والأروقة المحيطة به

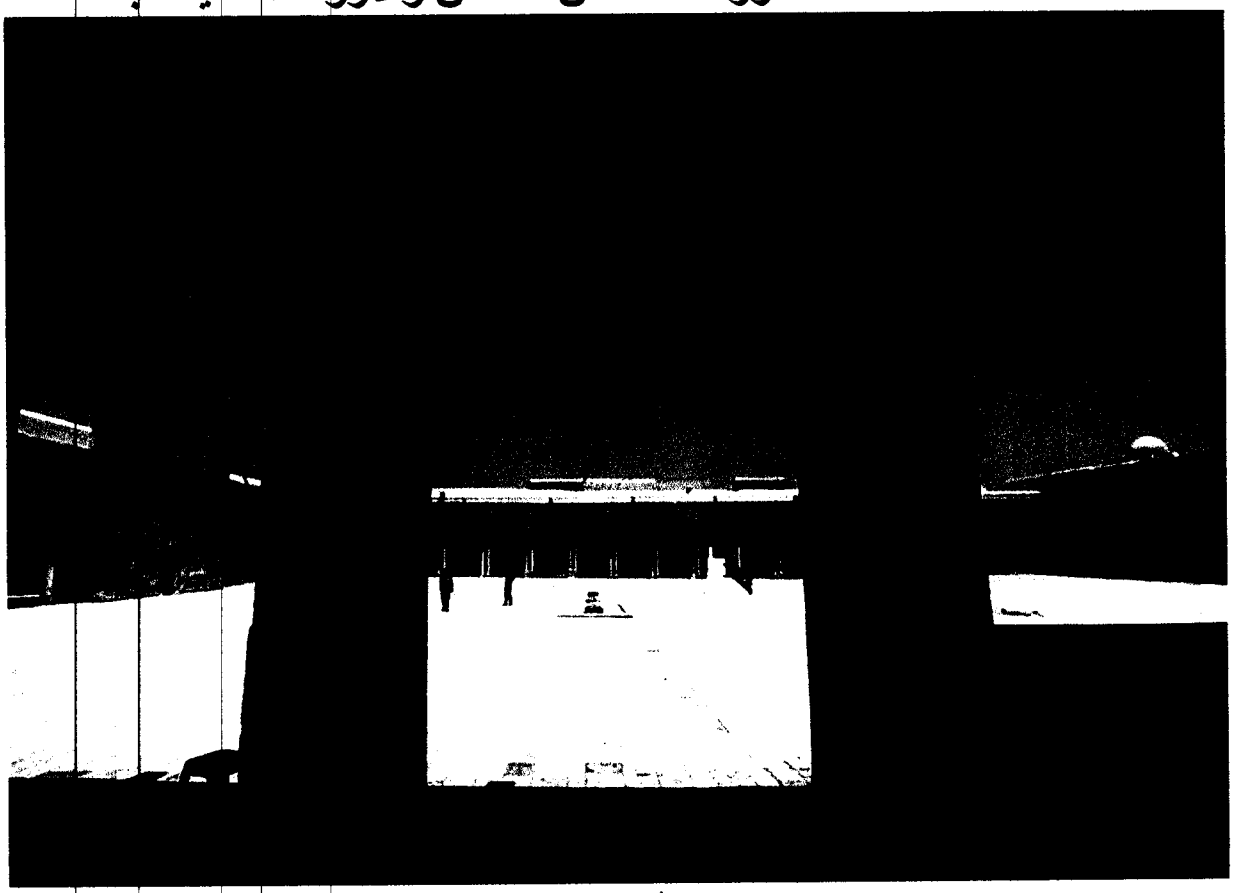

صحن المسجد

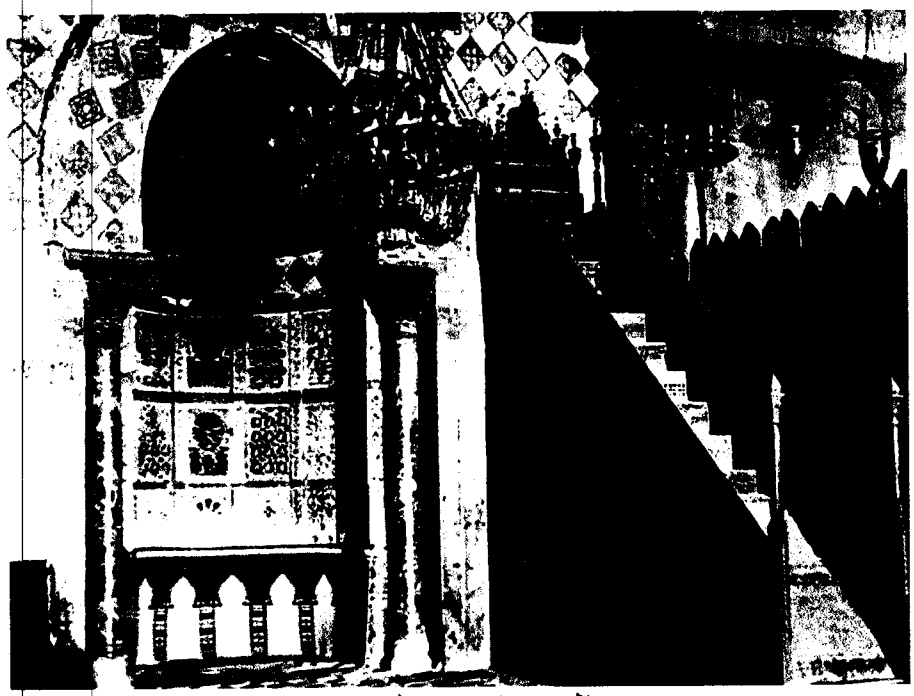

المحراب و المنبر

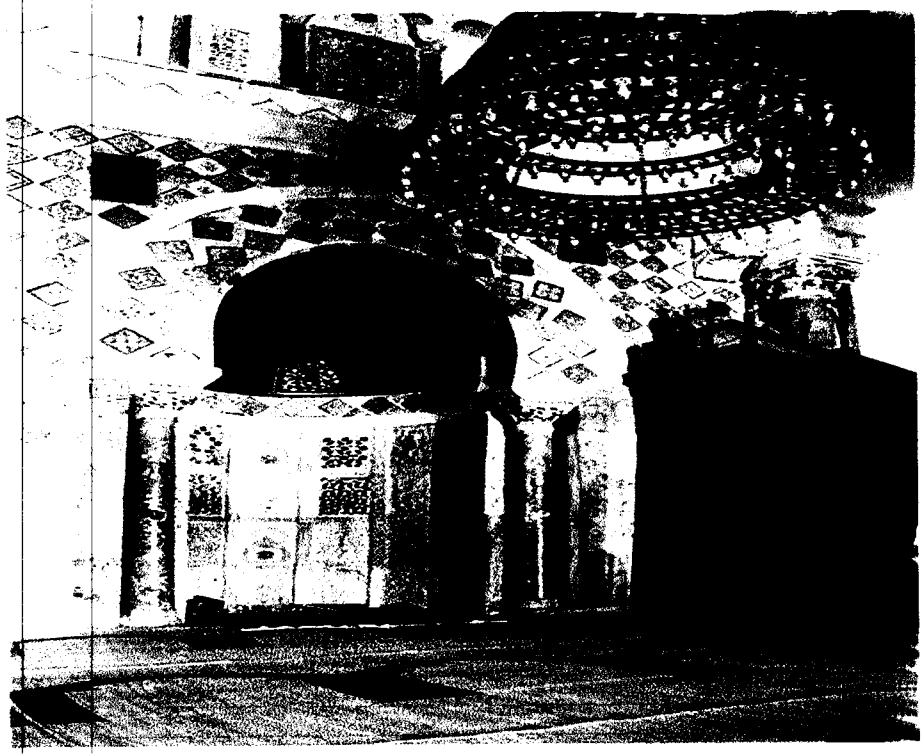

المحراب

العناصر الإضافية على عمارة المسجد :

1- المآذن : هي البناء المرتفع الذي يرتقي إليه المؤذن ليعلن دخول وقت الصلاة من خلال رفع الأذان .تعرف المآذن ب: المنارات و الصوامع لأنها و كما يقول المهندسون و المعماريون أنها نشأت عن الأبراج و المنارات - يعني الصوامع-

ثم امتزج الطرازان معا فظهرت مآذن المساجد الأولى ، فإذا تأملنا " مئذنة جامع عقبة بن نافع مثلا ، و جدنا أنها تتكون من جزءين أساسيين . البدن أو القاعدة و هي بناء مربع مرتفع سميك الجدران بداخله سلم يؤدي إلى سطحه *، فهي إذن مقتبسة من البرج القديم ثم تلي ذلك منارة تقوم على هذا البرج في هيئة بناءين ، واحد منهما فوق الأخر ، الأدنى منهما اصغر حجما من البدن و الأعلى أصغرها جميعا ، و مئذنة جامع عقبة **إذن برج و منارة في آن واحد .الأذان كان يرفع من سطح البدن أو البرج الأسفل ، و السلالم تنتهي عند هذه الشرفة ، أما الصعود إلى المنارة فيكون عن طريق سلم صغير خشبي يبدأ من سطح البدن أو البرج ثم تلي ذلك – من حيث الترتيب الزمني – صوامع المسجد الأموي في دمشق "[1]

2- الأقواس أو العقود : أصل العقد أسيوي ، و لكنه تطور على أيدي الفرس و الرومان ثم جاء المسلمون من بعدهم فطوروه و زادوا في أنواعه . يعد العقد ذو حذوة الفرس من مميزات العمارة العربية الإسلامية .

العقود إشكال مختلفة ، منها نصف الدائري و المنفرج و المذبب و عقد حذوة الحصان الذي ظهر لأول مرة في عقود المسجد الأموي في دمشق المحيطة بالصحن و في الشبابيك التي تعلوا هذه العقود ، و العقد الذي انتشر أكثر من غيره في العمارة المساجدية هو العقد المذبب و كذا المفصص بنوعيه – إما نحت باطن الصنج على هيئة فصوص و أما إضافة التفصيص في القوالب الجصية الزخرفية إلى العقود – و من العقود تطورت السقوف المقببة ثم القباب [2].

---

* مما "روي عن الجامع الأزهر انه انتهج تقليدا سار عليه منذ نشأته ، و ذلك بضرورة أن يكون المؤذن ضريرا للحفاظ على حرمة الدور المحيطة و عوراتها . و نعتقد القول بان هذا التقليد كان معمولا به في اغلب المساجد القديمة و ما يؤكده عمل السلم الحلزوني في قلب المئذنة ليستطيع المؤذن الضرير أن يصعد عليه بسهولة و يسر .و إن كانت التطورات المعاصرة و استخدام مكبرات الصوت قد منعت المؤذن من الصعود على المئذنة و بالتالي فان الحكم يبقى على عمال الصيانة إثناء صيانة مكبرات الصوت أو حتى المآذن ذاتها".نوبي محمد حسن ، " مرجع سبق ذكره" ، ص 116.

** " أول مئذنة ، بناها زياد بن أبيه (عامل معاوية بالعراق) في جامع البصرة عام 45 ه " ، حسين مؤنس ، "المساجد "، ص 113، 114.

[1] حسين مؤنس ، " المساجد" ، ص 115 ، 116.

[2] ينظر: "المرجع نفسه" ، ص 121 ، 122.

3- القباب : تنشا من عقود متقاطعة في مركز واحد هو المفتاح الرئيسي الأعلى للقبة كلها ، و تلك كانت المشكلة الأولى التي تعين على المعماري حلها لان الغالبية العظمى من المباني مربعة أو مستطيلة ، فلابد إذن من تحويل اعلي البناء المربع إلى دائرة .[1]

4- الأعمدة : هي عنصر معماري أصيل اخترعه المصريون القدماء و أبدعوا في استعماله ، و هم الذين علموا الناس طريقة إقامة عمود متين و جميل في آن واحد ، و ذلك بتقسيمه إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي : قاعدة العمود التي تعتمد على أساسه في الأرض ثم بدن العمود ثم رأسه أو تاجه .

بدن العمود قد يكون قطعة واحدة من الرخام * أو قطعا اسطوانية بعضها فوق بعض ، أو قد يبنى من الآجر أو الحجر و في هذه الحالة يسمى دعامة ** . أما تاجه فيستعمل كوسيلة لتوسيع مساحته العليا التي ستقوم عليها العقود ، و لهذا فان التاج يكون في هذه الحالة قاعدة أو مخدة في هيئة مخروط مقلوب ينتهي من أعلاه بسطح واسع [2] ، هذا بالإضافة إلى الأعمدة المضلعة و المثمنة و هي ابتكار المعماري العربي المسلم حيث أبدع فيها و جعلها ذات طابع مميز خاصة المضلعة تضليعا حلزونيا و المثمنة أضلاعها و المزينة بالزخارف النباتية .[3]

5- الشرفات أو عرائس السماء : و هي وحدات زخرفية من الطوب أو الحجر أو الاسمنت توضع متراصة على حافة السقف كأنها إطار أعلى . و الشرافة أصلها إيراني ، و كانت تستعمل لنفس الغرض في المباني ، و كانت توضع كعنصر زخرفي في تيجان الملوك ، و قد اقتبسها المسلمون و تفننوا في أشكالها .[4]

6- الميضأة : بنى المعماريون الميضأة تسهيلا للوضوء إلا أنها تحتاج للماء الجاري و الذي لم يكن ميسرا في العصور الماضية و كان موضع إقامتها مشكلة يعاني منها المعماريون ، لذلك كانوا

---

[1] ينظر : " المرجع السابق " ، ص 122 ، 123.

* " في العادة كانت الأعمدة الرخامية تشترى جاهزة ، فقد كان هناك تجار متخصصون في الحصول عليها و بيعها ، و هم في العادة يأخذونها من الأبنية القديمة ، فإذا قيل لنا أن أعمدة جامع القيروان أوتي بها من صقلية و جنوب ايطاليا ، فليس معنا ذلك أن المسلمين أخذوها من الكنائس غصبا ، كما يفهم من بعض أقوال الباحثين الغربيين ، بل المفهوم أنهم اشتروها من تجارها " . حسين مؤنس ، " المساجد" ، ص 126 .

** "الدعامة عنصر معماري جديد ظهر في العمارة الإسلامية و استخدم لأول مرة في قبة الصخرة المشرفة في السنة 691" ، إياد الصقر ، " مرجع سبق ذكره" ، ص 179 .

[2] ينظر : حسين مؤنس ، " المساجد" ، ص 125 ، 126 .

[3] ينظر : إياد الصقر ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 179.

[4] ينظر : حسين مؤنس ، المساجد" ، ص 127 .

[5] ينظر : " المرجع نفسه" ، ص 128 .

يميلون إلى إنشائها في الصحن المكشوف ، في جانب منه أو في وسطه ، لان ذلك أعون على تجفيف الماء الزائد [5] ، و قد " طالب الفقهاء بان تكون المسافة بين موضع جلوس المتوضئ و الأخر كافية ، بحيث لا يصل إليه شيء متناثر من الماء من قبل المتوضئين كما زاد من عمق القناة الخاصة بتصريف ماء الوضوء كي لا يرتد بعضه على جسم المتوضئ أو على غيره "[1].

7- دورات المياه : دورات المياه الملحقة بالمسجد لم تعرف إلا متأخرا و ذلك عملا بالمبدأ الفقهي الذي يفضل التطهر في المنازل ثم الذهاب إلى المسجد . وعن مدى جواز بناء دورات المياه في بيوت الله فانه يجوز بناء المطاهر و التوضئة ، و قد روى أبو عبيد في كتابه الطهور عن إبراهيم النخعي قال : كانوا يتطهرون من مطاهر المسجد .

و مع تطور الزمن و كثرة أعداد المرتادين ، نتيجة للزيادة السكانية و قلة أماكن الخلاء المفتوحة أصبح وجود دورات المياه بالمساجد أمرا مألوفا حيث لا ضرر فيه ولا ضرار ، كما أن فيه ميزة لمن انتقض وضوءه بحيث لا يفارق الجماعة و يمكنه إعادة الوضوء و العودة للجماعة بدلا من الذهاب إلى مسكنه الذي قد يكون بعيدا عن المسجد.
للتذكير فقط نشير إلى انه يجب وضع دورات المياه على محور عمودي على اتجاه القبلة .[2]

8- المقاصير : و هي " في اللغة من قصر الشيء يقصره قصرا أي حبسه ، و تجمع على مقاصير ، و منها مقصورة الجامع أو المسجد ، و سميت بذلك لأنها قصرت على الخليفة أو الإمام دون الناس . و تعرف المقصورة بأنها حجرة تبنى في صدر المسجد على يمين القبلة أو يسارها لكي يصلي فيها الحاكم و القصد منها حمايته من الناس " [3] .

يقال أن أول من اتخذ المقصورة معاوية بن أبي سفيان أو مروان بن الحكم و كانت في البداية مجرد حواجز خشبية تحيط بجزء صغير من المسجد عند جدار القبلة و يدخل إليها إما من باب خاص في الجدار الملاصق لجدار القبلة أو من باب في بيت الصلاة نفسه ثم تطورت حتى أصبحت غرفا قائمة بذاتها [4]

---

[1] نوبي محمد حسن ، " مرجع سبق ذكره" ، ص 77.
[2] ينظر : " المرجع نفسه" ، ص 79 ، 80.
[3] "المرجع نفسه " ، ص 60.
[4] حسين مؤنس ، " المساجد " ، ص 129.

9- الشمسيات : و هي شبابيك أو فتحات مزخرفة في جدار المسجد تقفل بلوح من الرخام أو الخشب المخرم ، تصنع عادة برسم الزخارف على اللوح قبل وضعه ثم تفرغ أجزاء من الزخرفة و تترك فارغة أو تغطى بزجاج ملون ، الغرض منها إلى جانب العنصر الجمالي هو إضاءة المسجد * و دخول الهواء إليه .

في الغالب توضع الشمسيات صفوفا أو على مسافات متساوية من الجدار [1]

10- القمريات : هي فتحات مستديرة أو مربعة أو مسدسة أو مثمنة الهيئة تفتح في اعلى الجدار أو في رقاب القباب ثم تغطى بالزجاج الملون . " في المسجد ذي القباب تصبح وظيفة النور هي تخلله من النوافذ التي توجد عادة حول محيط القبة، و النوافذ التي تعلوا جدران المسجد و التي تسهم في توزيع الضوء بالتساوي في جميع الإرجاء من خلال المشربيات و ذلك عكس بعض أنواع العمائر الدينية في ديانات أخرى و التي تستخدم الظلام كنوع من إضفاء الغموض و الرهبة ، و يتم ذلك من خلال استخدام الأسوار العالية و التصميم المعماري المنغلق خارجيا و داخليا "[2].

11- الشماسات : الشماسة ظلة خشبية زخرفية تقام فوق الأبواب و النوافذ لتحمي الداخل إليها من الشمس و المطر ، توضع الشماسات مائلة على الباب أو النافذة و تجعل أطرافها في هيئات هندسية جميلة [3].

12- الزخارف و الحليات : الزخرفة هي كل رسم يعمل على مسطح بقصد ملء الفراغ بهيئات جميلة متناسقة تستريح إليها العين ، و الزخرفة تكون بالأشكال الهندسية والنباتية و بالخط العربي * ، و يحرم استعمال الحيوانية منها و الآدمية ، و الزخارف كما يقول الجاحظ " صدى للإيمان العميق بالله و عجائب صنعه في خلقه (...) و تعبير عن جمالية في الكون و النفس و عرض لأجمل إشكال النبات ، و الزهر و الغصون " [4].

---

* " ذكر أن مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم كان إذا جاءت العتمة يوقد فيه سعف النخيل ، فلما قدم تميم الداري المدينة صحب معه قناديل و حبالا و زيتا ، و علق تلك القناديل بسواري المسجد و أوقدت ، فقال صلى الله عليه و سلم نورت مسجدنا نور الله عليك . كما قال آخرون أن أول من قام بإنارة المسجد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه " ، نوبي محمد حسن ، " مرجع سبق ذكره" ، ص 44.

[1] حسين مؤنس ، " المساجد " ، ص 130.

[2] أنصار محمد عوض الله رفاعي ، "مرجع سبق ذكره" ، ص 280 ، 281.

[3] حسين مؤنس ، " المساجد" ، ص 131.

* " الخط العربي هو الفن الجميل الذي توج الحضارة العربية و الحضارات الإسلامية الأخرى ، و هو يختلف عن الخطوط الأخرى و يمتاز عنها في تجاوزه لمهمته الأولى و هي نقل المعنى إلى مهمة جمالية أصبحت غاية بذاتها و هكذا أصبح الخط العربي فنا مستقلا ، و هو مدين بذلك لارتباطه بمضمون رائع امن العرب و المسلمون بإعجازه البلاغي و البياني و هو القران الكريم الذي أوحي به إلى الرسول صلى الله عليه سلم ، ارتفعت منزلة الخط لارتفاع قداسة الكتاب ، و سما الإبداع فيه بقدر ما سما الإيمان في نفوس المسلمين " عفيف البهنسي ، " علم الخط و الرسوم " دار الشرق للنشر ، دمشق ، ط1 ، 1425ه/2004م ، ص 24 .

[4] أنصار محمد عوض الله رفاعي . " مرجع سبق ذكره " ، ص 208 .

يأتي جمال الزخرفة الإسلامية من تكرار الوحدة المتوالي بحيث لا تعرف بدايتها من نهايتها ، " إنها بيئة الصحراء القاحلة قد ربت العربي على البساطة ، و حببت إليه الرياضيات . فالصحراء في تشابه أجزائها تبدو كوحدة متميزة تتكرر إلى ما لانهاية دون أن تنتهي بعمق خاص . و المسجد لا يحاول التأثير على الفرد موضوعيا أو حسيا فهو بيت الله و الله لا يحده زمام أو مكان ، لا يرى و لا يتصور و لا يشبه البشر . واحد لا شريك له و لم يكن له كفوا احد . و تتمتع فن البناء العربي (arabeska) بميزاته البسيطة و أشكاله الهندسية البديعة تلتف و تتكامل في ذاتها ، أساسها الوحدة المميزة تتكرر مرارا . لا نهاية لها و لا بداية "[1] .

و الزخارف قد تكون مجرد رسوم و قد تحفر و قد تكون بارزة ، و قد تكون ذات لون واحد أو أكثر [2] .

كلمة لابد منها :

اختلف الفقهاء في زخرفة المساجد، وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها واعتبرها من علامات الساعة، ومن البدع المكروهة،لأنها تشغل المصلي عن صلاته . " فقد روى أبو داوود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لتزخرفنها كما زخرفت اليهود و النصارى .

ولهذا جاء التحذير من زخرفة المساجد فالعلة الوقوع في الشرك . فكما حدث في الأمم السابقة بالعبادات الصورية فوقعوا في الشرك فاعتاضوا عن جمال العقيدة بجمال جدران المعابد ، و عن نور الإيمان بأنوار الهياكل حتى جعلوا شعائر الدين أشبه باحتفالات الولائم و اقرب لاجتماعات المآدب لشدة ما تلتهي الأذهان بالنقوش و الزخارف و ما يشطح الذهن و الفكر في التأمل (...) في إبداع النوافذ و المنابر مع أن القصد من تلك الاجتماعات كان تجريد العقل من ملهيات العالم المادي و تخليصه من فاتنات المظهر الطيني، والذهاب بالروح على أجنحة ذلك الاجتماع المندمج إلى باب الرحمة القدسية (...) .فهم المسلمون الأولون وظيفة المسجد، وهكذا بنوه فلم يسرفوا في بنائه، ولم يزخرفوا و لم يبذروا، ففتح الله على أيديهم هذه الفتوحات العظيمة".[3]

[1] زيغريد هونيكه ، " شمس العرب تسطع على الغرب " ، ص 479 ، 480 .
[2] حسين مؤنس ، " المساجد " ، ص 131 ، 132 ، 133 .
[3] ابراهيم بن محمد، " آداب المسجد "، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1409ه/1989م، ص 52، 53.

لقد بنيت المساجد الأولى ببساطة تامة بساطة الدين الحنيف،فخرجت العظماء من الرجـــال، ولما عظمنا المساجد وفخمنا عمارتها، أحجمت عن تخريج ما خرجت، فهل الخلل في العمـــارة أو في الوظيفة؟.

القبة التي تعلو باب البهو المؤدي إلى بيت الصلاة

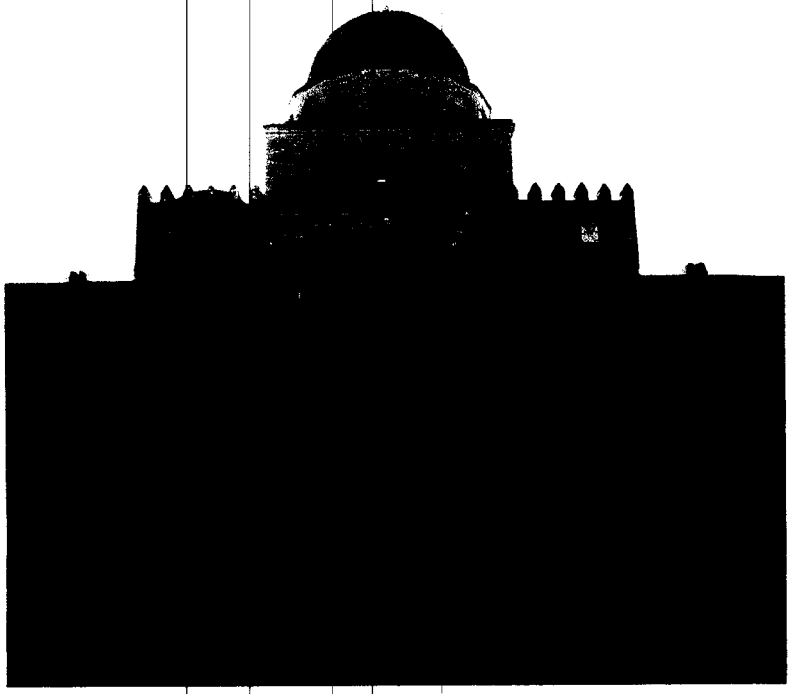

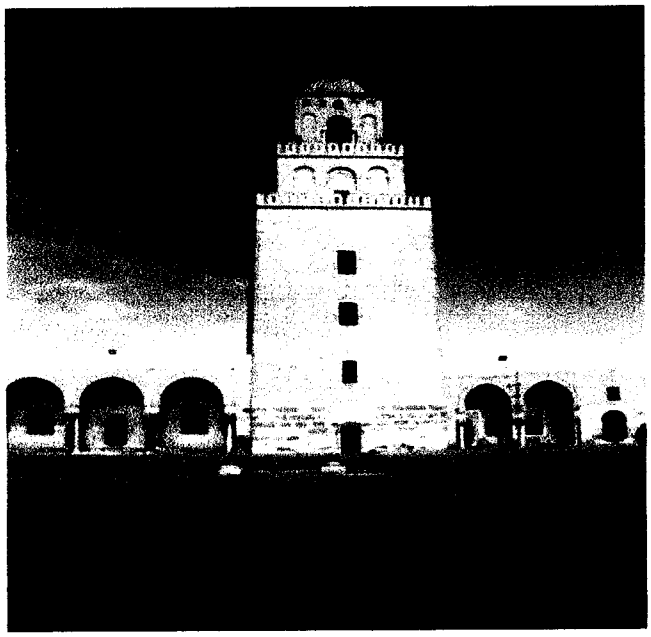

مئذنة الجامع

القبة التي تعلو المحراب

الأعمدة قرب بيت الصلاة

أقواس وأعمدة بيت الصلاة

الميضأة

أحد الآبار المتواجدة في صحن المسجد

المقصورة

احدى بوابات المسجد

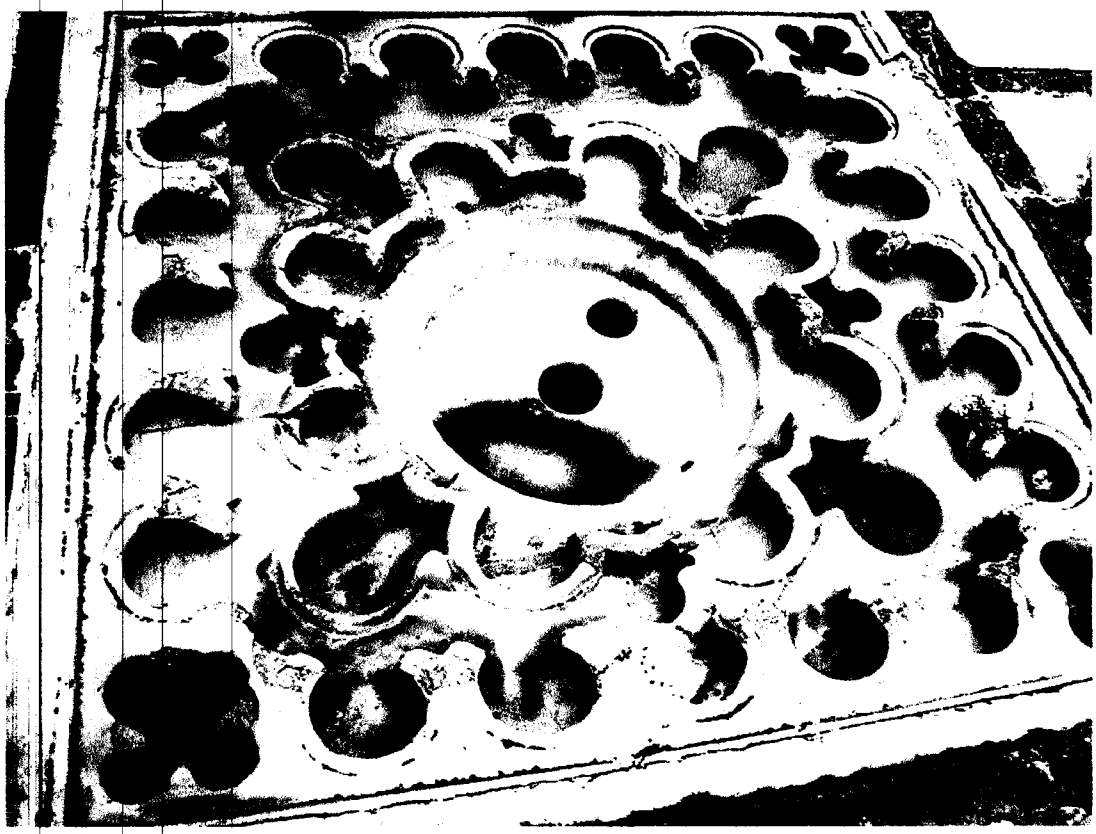

مصفاة من الرخام المنحوت في الصحن (لتصفية مياه الأمطار)

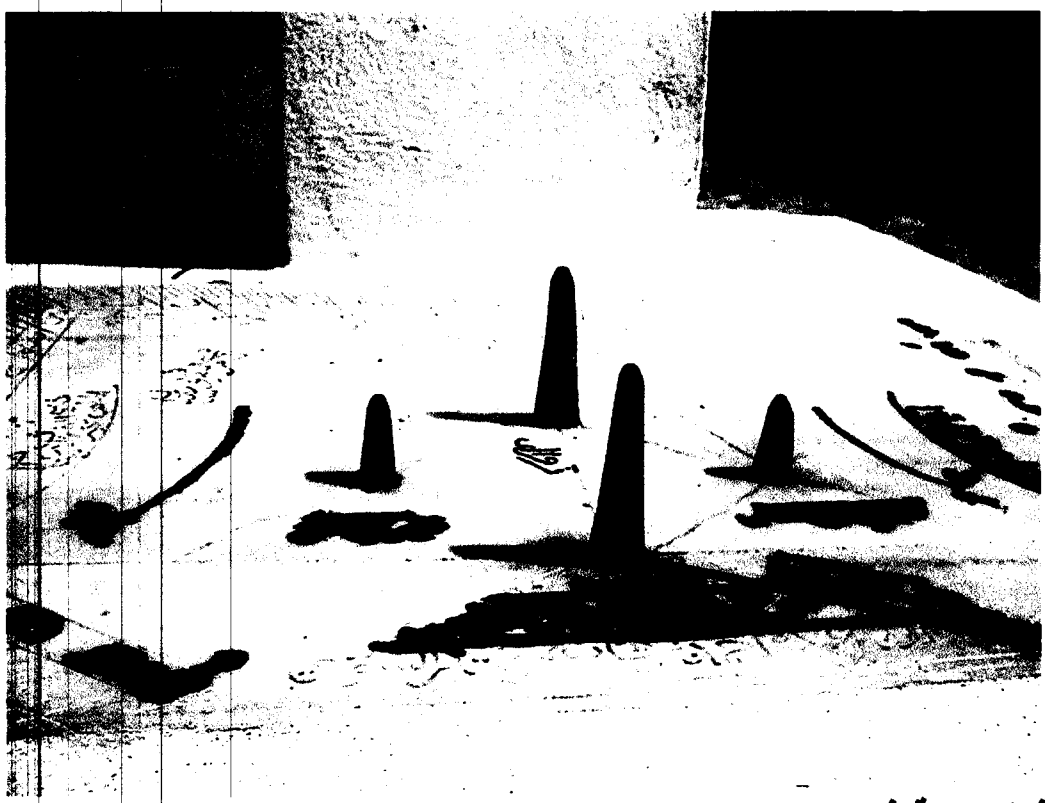

ساعة شمسية في صحن المسجد

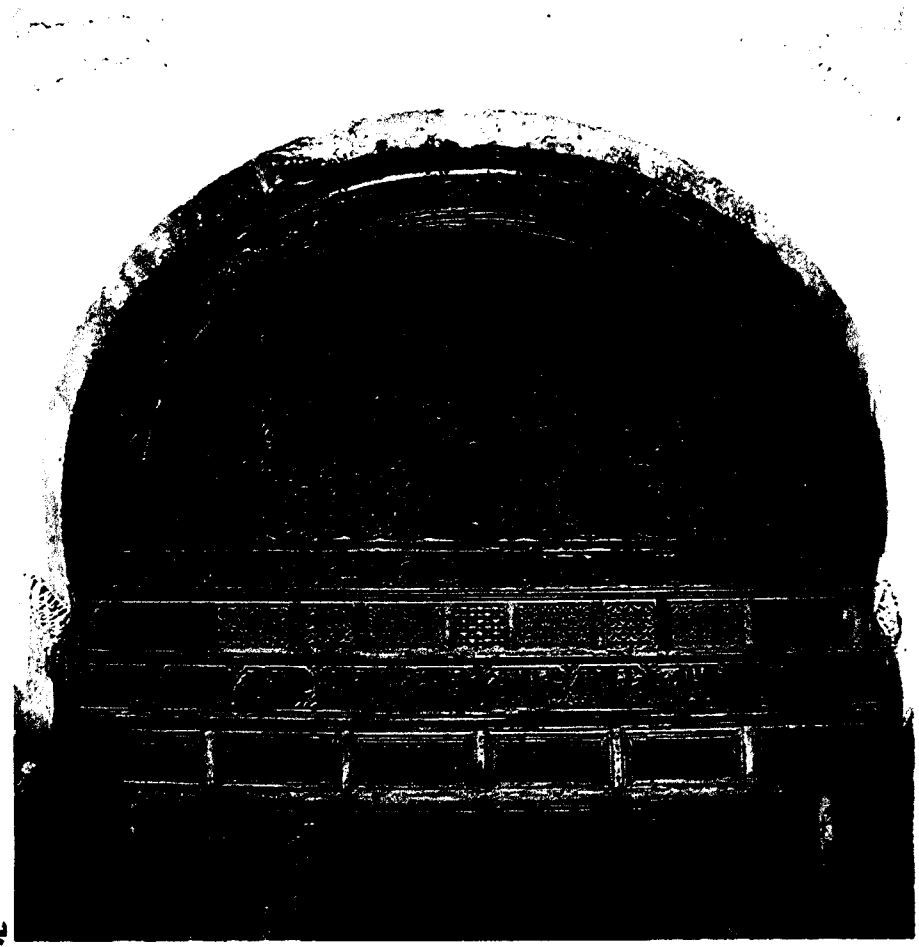

باب محلى بالنقش من أبواب بيت الصلاة

التكرار في العمارة الإسلامية

المبحث الثاني

رحلة المسجد في عالم الفن و الجمال

- ظهور الفن الإسلامي العربي و تطوره
- التوحيد كحقيقة فكرية و انعكاسه جماليا في الفن الإسلامي
- الوحدة و التنوع في الفن الإسلامي

ظهور الفن الإسلامي العربي و تطوره :

بدأ الفن الإسلامي مع بدء الدعوة الإسلامية ، فقد لفت القران الكريم الأنظار إلى نـــاحيتي الجمال و الزينة في المخلوقات إلى جانب ما لها من النفع كما أشار القران الكريم إلى الوســـيلة الـــتي توصل الإنسان المؤمن إلى تهذيب الخلق حتى يصل إلى حب الخير ، و تهذيب الذوق حتى يصـــل إلى حب الجمال .

و السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال ، ما علاقة الفن بالإسلام ؟.

إن الدين الإسلامي يلتقي بالفن ، فكلاهما انطلاق من عالم الضرورة ، و كلاهما شوق مجنح لعالم الكمال ، و كلاهما ثورة على آلية الحياة و" الفن الإسلامي ليس (...) الفن الذي يتحدث عن الإسلام من وعظ و إرشاد (...) و إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود مـــن زاويـــة التصـــور الإسلامي لهذا الوجود ... هو التعبير الجميل عن الكون و الحياة و الإنسان و مـــن خـــلال تصـــور الإسلام للكون و الحياة و الإنسان . هو الفن الذي يهيء اللقاء الكامل بين الجمال و الحق ، فالجمال حقيقة في هذا الكون ، و الحق هو ذروة الجمال ، و من هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كـــل حقائق الوجود " [1] .

و الواقع أن الفن الإسلامي " يعني جميع الجهود التي بذلها العالم الإسلامي خلال عشرة قرون على الأقل في التعبير عن الجمال و صنع الأشياء الفنية .و الفن الإسلامي أوسع الفنون العالمية انتشارا على الإطلاق إذ تمتد أثاره من خليج البنغال في الهند حتى ايبيريا . كما انه أطول فنون العالم عمـــرا (...) فقد ولد في القرن السابع الميلادي (الأول الهجري) و بلغ عنفوانه في القرنين الثالث عشـــر و الرابع عشر (7-8 هجري) ثم هرم منذ القرن الثامن عشر (12 هجري) و هو إلى جانب هـــذا و ذاك أخر فنون العالم ظهورا بعد ظهور الفنون الغربية الحديثة منذ عصر النهضة الاوربية (...) .فالفن الإسلامي ذو شخصية قائمة بذاتها ، ذات تاريخ خاص و ميزات معينة واضحة. و قد أعطاه الإسلام طابعه الخاص " [2]

الفن الإسلامي لم يأت من فراغ بل تأثر من حيث الشكل و التقنية بالفنون الصناعية الـــتي كانت موجودة في العالم الهلنستي الغربي ، و الايران الشرقي ، و بقي بعد فترة من الوقت بعد ظهور

[1] أنور الرفاعي ، "تاريخ الفن عند العرب و المسلمين " ، ص 9 .
[2] "المرجع نفسه" ، ص 10.

الإسلام حتى تشكل بميزاته و صفاته الخاصة التي تميزه عن غيره من الفنون .[1] يقول "مراد ويلفرد هوفمان :[سياسي و دبلوماسي ألماني مسلم ، تسمى باسم مراد فريد ، له العديد من الكتب و المؤلفات عن الإسلام كبديل ، الطرق إلى مكة] الفن الإسلامي لم يبدأ من فراغ ، و لكنه صهر و صبغ فنون الأجناس المختلفة التي دخلت الإسلام ، فهو ليس نتاج جنس أو منطقة ، و لكنه نتاج دين احتوى الأجناس و المناطق ، فهو يعبر عن شعور ديني ، و أسلوب حياة بقدر ما يعبر عن عقيدة دينية "[2].

فهو لم يفصل بين الفن و الحياة و لم يفصل بين العادي و المقدس ، فهو ينمو في جميع اتجاهات الحياة ، انه يعرف كيف يظل أمينا على وحيه الأول ، و ثابتا في أمانته : التوجيه إلى الصلاة .و يمكننا إن نشاهد تجليه حتى في تزيينات المصحف التي توجد في جميع أنواع الزخارف فوق صفحة نحاس أو جلد أو في سجادة صلاة.[3] فالفنان المسلم لم يكن ينجز عمله ليعرضه في متحف كما هي الحالة اليوم إنما كان يستعمله في الحياة اليومية ، الإبريق المنقوش يستعمل للوضوء و السجادة للصلاة و هنا تبدو لنا مقدرة الفن الإسلامي العربي الكبيرة في تحويل ابسط أدوات الحياة اليومية إلى قطع فنية قيمة ، كذلك لم يفصل الفن الإسلامي ما بين الإبداع و الحرفة فجدار المئذنة المصمت ترقشه مقرنصات ذات إيقاعات متواترة تلغي رتابة الحجر ، إما الفسحة الكبيرة في الجدار فهي تتطلب من الحرفي كسرة صحرائها بزخارف نباتية و توريقات كما هو شائع في الجامع الأموي وسط دمشق ، وهكذا فلكل نمط من العمارة ما يناسبها من زخارف و فنون[4].

يتميز الفن الإسلامي عن غيره من فنون الحضارات الأخرى انه يكون إطارا عاما واحدا تتنوع ضمنه اللغة الزخرفية تبعا لخصوصية الأقاليم ، فحددت هذه الظاهرة خاصية الفن عند المسلمين المزدوجة :

أولا : وحدة إطاره على نحو يجعله مختلفا عن مواريث الأمم الأخرى و ثقافاتها و حضاراتها .

---

[1] ينظر: محمد الخطيب ، " تاريخ الحضارة العربية "، دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة ، دمشق –سوريا ، ط 1 ، 2007م ، ص 277، 278 .

[2] أنصار محمد عوض الله رفاعي "مرجع سبق ذكره"، ص 191.

[3] ينظر: روجي قارودي ، " حوار الحضارات " ، تعريب عادل العوا ، عويدات للنشر و الطباعة ، بيروت - لبنان ، ط6 ، 2007،ص 134.

[4] ينظر : إياد الصقر ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 111.

ثانيا : ثراؤه بالخصائص المحلية ضمن الإطار العام المتقدم بحيث يتميز عن بعضه حسب الأقاليم الجغرافية و تنوع ثرائها الحضاري و اختلاف زمانها [1] .

"ولعل هذا السر من أسرار تفوق الحضارة الإسلامية و قدرته الفائقة على صبغ المنتجات الفنية في جميع الأقطار بصبغة واحدة ، على إن هذه الوحدة لم تمنع من وجود طرز إسلامية تتميز بها الأقطار الإسلامية المختلفة في عصور تطورها الفني"[2] .

[1] ينظر : " المرجع السابق" ، ص 25.
[2] "المرجع نفسه" ، ص 24.

التوحيد كحقيقة فكرية و انعكاسه جماليا في الفن الإسلامي :

وحدانية الله حقيقة كبرى في هذا الكون و في نفس كل مؤمن و قلبه و عقله. و شـــهادة إن لا اله إلا الله أول ركن من أركان الإسلام . و عقيدة المسلم الصحيحة لا تستطيع أن تعبر عن الذات الإلهية المترهة عن كل تصوير و تمثيل .

هذه المعادلة الصعبة هي التي جعلت الفنان المسلم يعكس التوحيد من خلال التجريد .فما هو التجريد إذن ؟.[1]

"التجريد بمثابة انتقال ذهني من المحسوس إلى المعقول ، أو من المباشر إلى غير المباشر ، مـــن الجزئي إلى الكلي ، ومن المتعدي إلى الوحدة و النظام الواحد الذي يحكمها "[2] .

من هنا جاءت عبقرية الفنان المسلم الذي عبر عن هذه الحقيقة المترهة " وعن صفاتها ، فعـــبر عن المطلق اللانهائي كتعبير تأملي جمالي . فأول عنصر من عناصر العمل الفني (النقطـــة) الـــتي تمتـــد لتكون خطا ، و الخط يلتف ليكون دائرة و يحدد مربعا ، و هي الإشكال الأولية و الأبجديـــة الأولى المركزية التي تكون منها الفن الإسلامي .

ففي الإسلام النقطة هي البداية ، و الإشكال اللانهائية التي تصدر عنها هي بمثابة تعبير ذهـــني تأملي جمالي يعبر عن اكبر حقيقة في الوجود و هي حقيقة الخلق و صدور كل هذا التنوع اللانهـــائي عن(المركز) أصل الوجود ، و من هنا فقد تطابق الفكر و الإيمان مع الوجدان في نفس الفنان المسلم للتعبير عن التنزيه و عدم التشبيه"[3] ، و نجح في ذلك نجاحا لم يسبق له مثيل ، فالفنان المســـلم مـــن خلال تجريداته يقوم " بعملية بلاغية كبرى كانت بمثابة انتقال ذهني جمالي من المفـــاهيم و الحقـــائق الكبرى التي جاءت بها الحضارة الإسلامية من خلال الفكر الإسلامي إلى معادلات جمالية تعبر عـــن تلك الحقائق ، فجاءت تجريداته بمثابة تجليات تشكيلية و اشراقات جمالية غاية في العمق ، و ذلـــك لأنها تستبطن بداخلها فكرا غاية في العمق و الأصالة "[4]

---

[1] ينظر: انصار محمد عوض الله رفاعي ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 157.
[2] "المرجع نفسه " ، ص 200.
[3] "المرجع نفسه"، ص 157.
[4] "المرجع السابق" ، ص 201.

عكس الفنان الغربي الذي تدور تجريداته حول ذاته التي قوامها أن الإنسان مركز كل شيء ،" فجاء تجريده نسبيا فرضيا لا يتضمن قوانين عامة و إنما فردية تختلف باختلاف كل فنان ، بينما جاءت تجريدات الفنان المسلم حول معنى اشمل و أعمق يتضمن الوجود كله و هو أن الله المطلق المجرد ليس كمثله شيء ، هو مركز كل شيء و بداية كل شيء و نهاية كل شيء "[1] .

يقول بريون Brion : " إن الفن التجريدي أكثر قدرة من الفن التشبيهي على التعبير عن روحانية عميقة لأنه لا يرتبط بالشكل التمثيلي * ، و لأنه أيضا يستطيع دون وساطة أن يثير مباشرة حالات عاطفية و انفعالية أكثر نقاء من تلك التي يثيرها الشكل التمثيلي ، و إن الفنان في كل مرة يسعى فيها إلى التعبير عما هو روحاني أو الهي كان يسعى إلى التجريد ، و هذا ما تم بالفعل بالنسبة للفن الإسلامي، حيث كان المتعالى يعبر عنه دائما بصورة غير تشبيهية "[2]

لقد كان هدف الفنان المسلم من تناوله لمظاهر الطبيعة من خلال الرقش العربي و إبداعه و تفننه في الخط العربي كذلك ، الوصول إلى ما وراء المباشر المرئي من نظام كوني . و لعل "أول مظهر من مظاهر الفن و الجمال التي عني بها العرب بعد إسلامهم (...) تجميل الخط و تجويد آيات القران الكريم كتابة ، مثلما عنوا بتجويدها قراءة و ترتيلا ، و كان هذا الدافع الديني هو العامل الرئيسي الذي جعل للخط العربي مكان الصدارة في الفنون الإسلامية بعد العمارة و سما به في عالم الزخرفة إلى مرتبة لم يحظ بها من قبل الخط الزخرفي في أية لغة أخرى أو أي فن أخر من الفنون .

و لا يعرف التاريخ الثقافي و الحضاري للأمم سحرا مثل السحر الذي تتميز به الحروف العربية و لا نظن امة من الأمم [أولت] (...) الكتابة هذه العناية فجعلت منها فنا دقيقا مفصل القواعد ثابت الأسس مقرر الضوابط مثل امة العرب "[3] . يقول "بول بارتيس حول الدور المكرس للغة و كلماتها عند العرب : في الإسلام يلعب الوازع الديني دورا أساسيا في عمل الخطاط الذي يعبر في عمله عن التسلي لله و التوكل عليه "[4]

---

[1] "المرجع نفسه" ، ص 203.

* وجد تصوير المخلوقات طريقه عند بعض الفنانين بعد فترة من ظهور الإسلام –منذ العصر العباسي-الا انه بقي يخدم أغراضا غير دينية ، لذلك لا نجد في تاريخ الحضارة الإسلامية ، ما يشير إلا إن المسلمين عمدوا إلى تصوير المخلوقات ذات الأرواح في المساجد أو المناطق ذات الصفة الدينية .ينظر : محمد الخطيب، " مرجع سبق ذكره" ، ص 277.

[2] أنصار محمد عوض الله رفاعي ، " مرجع سبق ذكره" ، ص 204.

[3] محمود شكر الجبوري ،" بحوث و مقالات في الخط العربي"، دار الشرق للطباعة و النشر ، ط 1، 1426ه /2005م ، ص 337 ، 338. .

[4] "المرجع نفسه"، ص 325 .

لقد اعتمد الفنان العربي المسلم القيم الجمالية الكامنة في النص الخطي و استعملها في لوحاته ، " فقد كان التبرك بكتابة الآيات القرآنية امرأ لا يكاد يخلو منه عمل فني في مسجد أو منارة في الأقطار العربية و الإسلامية في أرجاء المعمورة ، نظرا لخصائص الخط التي تتيح له التعبير عن قيم جمالية ترتبط بقيم عقائدية متميزا عن أي غرض إنتاجي أخر " [1]

لقد اتخذ الفن الإسلامي من الدين ألف الجمالية و ياءها فقد بدا و انتهى بالمقدس ، فلم يعبر عن مظاهر الدين ولا عن مظاهر الحضارة الإسلامية ، و لم يعبر عن الرسول صلى الله عليه و سلم أو الصحابة كما انه لم يكن تعبيرا محدودا قاصرا على خدمة رجال الدين كبعض الفنون الأخرى أو الفنون القادمة بل جاء اشمل و اعم من كل هذا ، جاء تعبيرا عن رؤية شاملة للكون و ما وراءه فكان هدفه التعبير عن المطلق و المحسوس من خلال الواقعي الملموس[2] كما أن التعبير الجمالي للفن الإسلامي جعلنا نعلم "معنى المطلق واللانهائي و الأبدي و السرمدي الذي ليس كمثله شيء كمضمون فكري على اعلي مستوى من التجريد و التعبير الجمالي المواكب له "[3]. قال تعالى في سورة الرحمن الآية 26-27 (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ)[4].

إن وظيفة الفن وهدفه تلتقي مع وظيفة و هدف الصلاة ذلك أن الهدف من الصلاة ليس الحركات و الإشارات و إنما الهدف هو ما وراء ذلك من الصلة بالله الواحد المتعال و بالمقابل فان الهدف من جمال الفن ليس جمال المظهر المادي بل ما وراء المادة و كان الفن هنا هو عبادة الله جماليا [5].

و ما يقال عن الفن و الصلاة يقال عن الفن و الذكر ذلك أن " التكرار الإيقاعي في الفن مكون من وحدة تصميم أو وحدة معمارية أو أكثر من وحدة ، و هو يشبه أو يوازي التكرار في الذكر المكون من وحدة لغوية مثل الله ، لا اله إلا اله ، و الحمد لله و لو كان التكرار في الذكر رتيبا و أوله مثل نهايته لما وجد ذاكر واحد استطاع إن يستمر في ذكر الله تعالى ، و لكن الجمال هنا في أن الإحساس في بداية الذكر يختلف عن الإحساس في الوسط ، يختلف عنك عندما تنتهي من الذكر خاصة و إن كان التكرار يتم وفق أعداد فمثلا استغفر الله العظيم سبعين مرة إن أول مرة لها تذوق

---

[1] "المرجع نفسه" ، ص 325.
[2] ينظر : أنصار محمد عوض الله رفاعي ،" مرجع سبق ذكره" ، ص 172.
[3] "المرجع نفسه" ، ص 169.
[4] القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم .
[5] ينظر: أنصار محمد عوض الله رفاعي ، " مرجع سبق ذكره" ، ص 309.

يختلف عن المرة الثلاثين يختلف عن المرة السبعين و هكذا إلى ما لا نهاية للعدد و ذلك من خلال الاندماج الحسي و اللفظي عند المتذوق .

و في الفن كلما زاد التأمل في الوحدة أو الوحدات كلما استشعر المتذوق جمالا داخليا في نفسه يختلف عن أول وهلة ، و كلما تمعن و تتبع الوحدات بصريا و أدرك نظامها الهندسي الكامن بها ، أو منطقها التتابعي أو فكرتها المركزية المتكررة ... مثلا أدرك جمالا عقليا و حسيا في نفس الوقت يفوق بكثير جمال النظرة الأولى العابرة " [1] .

لقد حمل الفنان المسلم إيمانه بالله في قلبه ، و إسلامه بين يديه و في أنامله ، و حول مضامين الفكر الإسلامي إلى رموز جمالية لانهائية * توحي للمتأمل فيها بذكر قدرة الله ، فكأنها ذكر لله و لكن بأسلوب جمالي .

و هنا تلتقي الأهداف و الغايات ، هدف الفن كتذكير بالجمال الإلهي مع هدف الصلاة كصلة وثيقة بالله ، مع هدف التأمل في مظاهر الطبيعة كعبادة لمن خلق هذه الطبيعة .
و على ذلك يتأكد أن المنهج الجمالي الإسلامي هو منهج خاص و متميز جدا و وثيق الصلة بالعقيدة الإسلامية ، و هو في هذا يختلف تماما عن المنهج الجمالي الغربي أو الأوربي .[2]

لقد اتخذ الفنان المسلم منهج التجريد الإسلامي للتجرد من الغلاف المادي للنفاذ من خلاله إلى جوهر الحقيقة المطلقة و وسيلته المثلى في ذلك هي البصيرة ، و هي حاسة موجودة عند الإنسان و ليس كل إنسان و التي يستطيع من خلالها الوصول إلى أقصى درجات الحقيقة و أبعدها عن الحس المباشر .يقول محمد قطب : " إن هناك حاسة في باطن النفس تفطن للجمال وتحس و تستجيب له ، و هي تدركه بداهة بغير تفكير ، على طريقة الروح في الإدراك لا على طريقة الذهن ذي الأبعاد و المقاييس "[3] .

---

[1] "المرجع السابق" ، ص 226.
* "اللانهائية كسمة جمالية تكتسب خواصها من خلال الاستمرارية الممتدة المكونة من أكثر من عنصر داخل مجموعات تمثل مصفوفات خطية أو معمارية أو هندسية أو نباتية ... تتضاعف في امتداد عناصر التكوين لتكون ملحمة لا نهائية و كأنها تأكد هذه اللانهائية من خلال استمراري و امتدادها داخل الكيان الكلي للعمل الفني فتعكس ترابطا و تأكيدا و كان الوحدة الواحدة تأكد بعضها البعض بمعنى أخر كان العنصر الواحد يؤكد مجموع العناصر المتشابهة معه في بلاغة لا محدودة . مثال على ذلك عند رؤية احد المصلين في المسجد يصلي منفردا و عند مقارنة هذه الرؤية لنفس الإنسان يصلي مع جموع المصلين في صفوف صلاة الجمعة مثلا فان الإحساس بهذا الإنسان كعنصر داخل إطار عناصر أكثر معه في النوع تؤكد هويته ، و تحدث ترابطا بينه و بين العناصر الأخرى و يمثل مع مجموع العناصر كيانا كليا لا محدودا و ممتدا و لا نهائيا " المرجع نفسه" ، ص 318.
[2] أنصار محمد عوض الله رفاعي ، "مرجع سبق ذكره" ، ص 309.
[3] "المرجع السابق " ، ص 329.

و بقدر نفاذ البصيرة و قدرتها على اجتياز الواقع الملموس للوصول إلى ما وراءه من محسوس بقدر ارتقاء الروح في مراتب متدرجة متصاعدة و ينعكس ذلك في قوة الإبداع و شدة إشراقه و يمكن القول أن الفنان المسلم استخدم بصيرته كأحد المنافذ الرئيسية للوصول إلى معنى المطلق و اللانهائي .

إن نجاح الفنان المسلم في التعبير عن المطلق و اللانهائي من خلال الفن التجريدي ليس ببعيد عما قام به المعماري المسلم من خلال العمارة الإسلامية و الخطاط المسلم من خلال لوحات الخط العربي* . فتلك المعاني و المضامين حققها كل منهم في إعماله و اوجد لها دلالات روحية تشيع لذة و متعة في نفس من يتأملها .

لقد جعل الخطاط المسلم من الخط العربي هوية للفن العربي و الإنسان العربي المسلم يقول روجيه قارودي : "إن الكشف ألقراني قدم وجهة نظر جديدة جذريا ، في علاقات الواقعي و غير الواقعي . و الواحد و المتعدد ، و الله و الكون و أن ابن عربي ذكر بالفكرة الرئيسية في الوحي الإسلامي عبر ثلاثة من الخلفاء الراشدين أصحاب الرسول المقربين : يقول أبو بكر : أنا لم أر شيئا ، قط ، إلا و رأيت الله قبله ، و يقول عمر : أنا لم أر شيئا ، قط ، إلا و رأيت الله معه .و يقول عثمان : أنا لم أر شيئا ، قط ، إلا و رأيت الله بعده . من هذه التجارب الثلاث نستنتج انه لا يمكن رؤية أي شيء على إلا في الله ، و إن الله يرى في كل شيء ."[1]

أما الزخرفة الإسلامية (الارابيسك) فهي تعويض و تحد لمظاهر الطبيعة، فهي لا تزين العمائر فحسب بل تزين أيضا الفخاريات و الأقمشة و الخشب و الزجاج و الصحف و غيرها مما يستطاع تزيينه .[2]

* "يقول عالم الفنون الإسلامية ارنست كونل : لقد منح الدين الإسلامي للعرب اللغة و الخذ و انتشرت الأبجدية العربية في العال العربي و الإسلامي فأصبح الخط رابطة لجميع شعوب المنطقة " . محمود شكر الجبوري ، " مرجع سبق ذكره "، ص 323.

[1] روجيه قارودي ، " وعود الإسلام " ، الدار العالمية للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1404ه/1984م ، ص 154.

[2] ينظر : إياد الصقر " مرجع سبق ذكره " ، ص 36 ، 37 .

الوحدة و التنوع في الفن الإسلامي :

الفن الإسلامي هو احد مظاهر الحضارة الإسلامية و بالتالي فهو يعكس خصائصها المميزة لها عن باقي الحضارات و أهم هذه الخصائص الوحدة و التنوع، فماذا نقصد بالوحدة و التنوع في الفن الإسلامي ؟

يمكن القول أن الوحدة و التنوع في الفنون الإسلامية ما هي " إلا ترجمة في صورة صيغ جمالية بليغة تعكس مضامين التوحيد كأهم مكون من مكونات الوحدة في الحضارة الإسلامية عامة ، و أهم مكون من مكونات الوحدة في الفنون الإسلامية خاصة .

و قد أشار كلود هيوم برت C.H.bert إلى أن الفن الإسلامي فن نابع عن فكر و عقيدة راسخة داخل وجدان الفنان المسلم الذي ارتبطت معيشته بعناصر الحياة الدينية و الدنيوية في آن واحد ، كما اسند انتشار الفن الإسلامي إلى قدرة المسلمين على التوافق مع معطيات الحضارات التي احتكوا بها في عصرهم و استطاعوا الامتزاج بها و معايشتها مما ساعد على ثراء و تنوع و وحدة الفن الإسلامي "[1]

و عليه ، فان الوحدة داخل إطار التنوع تنعكس من خلال " وحدة النظم الفكرية التي اتسمت بالكلية و الشمول فطبعت المضمون الجمالي بطابع من السمات الموحدة ، و تصبح الخامة أو الخامات بجميع أنواعها بمثابة وسائط لنقل المضامين الكامنة و الإشكال المباشرة من خلال تحميلها بالعديد من الأسس و القيم و الخصائص و السمات الفنية .

كما أن التنوع انعكس من خلال تنوع الأجناس البشرية المكونة لبنية الأمة الإسلامية و بالتالي تنوع ثقافاتهم و لغاتهم و أراضيهم التي أضاءها الإسلام بنوره و تنوعت جغرافيا و تاريخيا ، و بالتالي أحدثت مدا واسعا من التنوع الحضاري السابق على الإسلام و المعاصر للإسلام و الذي عكس بالتالي مدا شاسعا جدا من المفاهيم الجمالية و الأساليب الفنية التي كانت سائدة قبل الإسلام و التي استفاد منها الفنان المسلم و لم يلفظها أو يهملها بل أخضعها للفكرة الكلية الشاملة التي عبرت عنها حضارته الإسلامية و دينه الجديد و هي فكرة التوحيد"[2]

---

[1] أنصار محمد عوض الله رفاعي ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 189.
[2] "المرجع السابق" ، ص 190.

لقد كان من تقاليد الحضارة الإسلامية تبادل الفنانين و الصناع و تنقلهم بين إرجاء العالم الإسلامي لبناء القصور و المساجد و القلاع و غيرها ، حيث حققت هذه التقاليد التالف و الوحدة و الايخاء و تبادل الخبرات بين هؤلاء الصناع و الفنانين ، فظهرت الوحدة الفنية في الجوهر و التي تستمد روحها من الهام واحد ، و تنوعت إشكالها و اختلفت تقنياتها ، و إن دل هذا على شيء فإنما يدل على مرونة و تفاعل الإسلام كدين و كحضارة و كثقافة و كفن إن جاز التعبير ، فالإسلام كدين جاء ليستوعب كل الديانات السابقة و يحتويها لان النبي صلى الله عليه و سلم بعث للناس كافة .

وداخل إطار الفن الإسلامي " جاء التنوع في الشكل و التوحد في المضمون ، فانعكس التنوع من خلال الإشكال العديدة جدا و المتنوعة و التي لا تحصى من أنواع الفنون الإسلامية بداية من العمارة بعناصرها العديدة من عقود و قباب و مآذن و أعمدة و شبابيك و أبواب و منابر و محاريب و مصابيح و سجاجيد و أرضيات رخامية و حوائط تحمل تصميمات خطية للقران (...) [و تصميمات جصية للزخرفة و الرقش العربي و أكثر الزخارف الشائعة هي المعروفة باسم "الرقش العربي –الارابسك-* و هي تتكون من فروع نباتية و جذوع منحنية و متشابكة و متتابعة و فيها رسوم محورة عن الطبيعة ترمز إلى الوريقات و الزهور و قد بدا ظهورها في القرن الثالث هجري و نراها في الزخارف الجصية التي كانت تغطي الجدران " [1] إلى ما لا نهاية له من الإعمال الفنية الصرحية العملاقة و الدقيقة و الرقيقة التي تتمثل في قطعة حلي صغيرة (...) [مصنوعة] بدقة متناهية كما تمثل صرحا معماريا كمسجد السلطان حسن " [2]

و للتدليل على التنوع الهائل في أي عمل من الإعمال الفنية السابقة و ليكن المئذنة مثلا فإننا نلاحظ إشكالا متنوعة في الشكل مع توحد المضمون الذي يمثل النداء للصلاة " فهناك المئذنة المربعة في المغرب و الأندلس و الشام ، و المئذنة ذات القواعد و الشرفات المتدرجة لأعلى كما في مصر ، و المئذنة الملوية الحلزونية في العراق في سامراء و أبي دلف و المتوكل و مسجد ابن طولون في القاهرة ، و المئذنة القلمية الرفيعة الرشيقة المسننة في اسطنبول في السليمانية و في مسجد محمد علي و المئذنة على شكل نبات الصبار في الهند و المآذن السيراميكية في إيران "[3] . و النماذج الآتية توضح ذلك :

* وصفت الارابسك -كما يسميها الباحثون الأجانب في حين يفضل الباحثون العرب تسميتها بالرقش العربي و التوشيح العربي و التوريق –بأنها لغة الفن الإسلامي كما وصفت الصور الآدمية بأنها لغة الفنون الأوربية .ينظر : محمود شكر الجبوري ، " مرجع سبق ذكره " ، ص 346.

[1] أنور الرفاعي "مرجع سبق ذكره " ، ص 140.

[2] أنصار محمد عوض الله رفاعي ، " مرجع سبق ذكره" ، ص 192.

[3] "المرجع نفسه " ، الصفحة نفسها

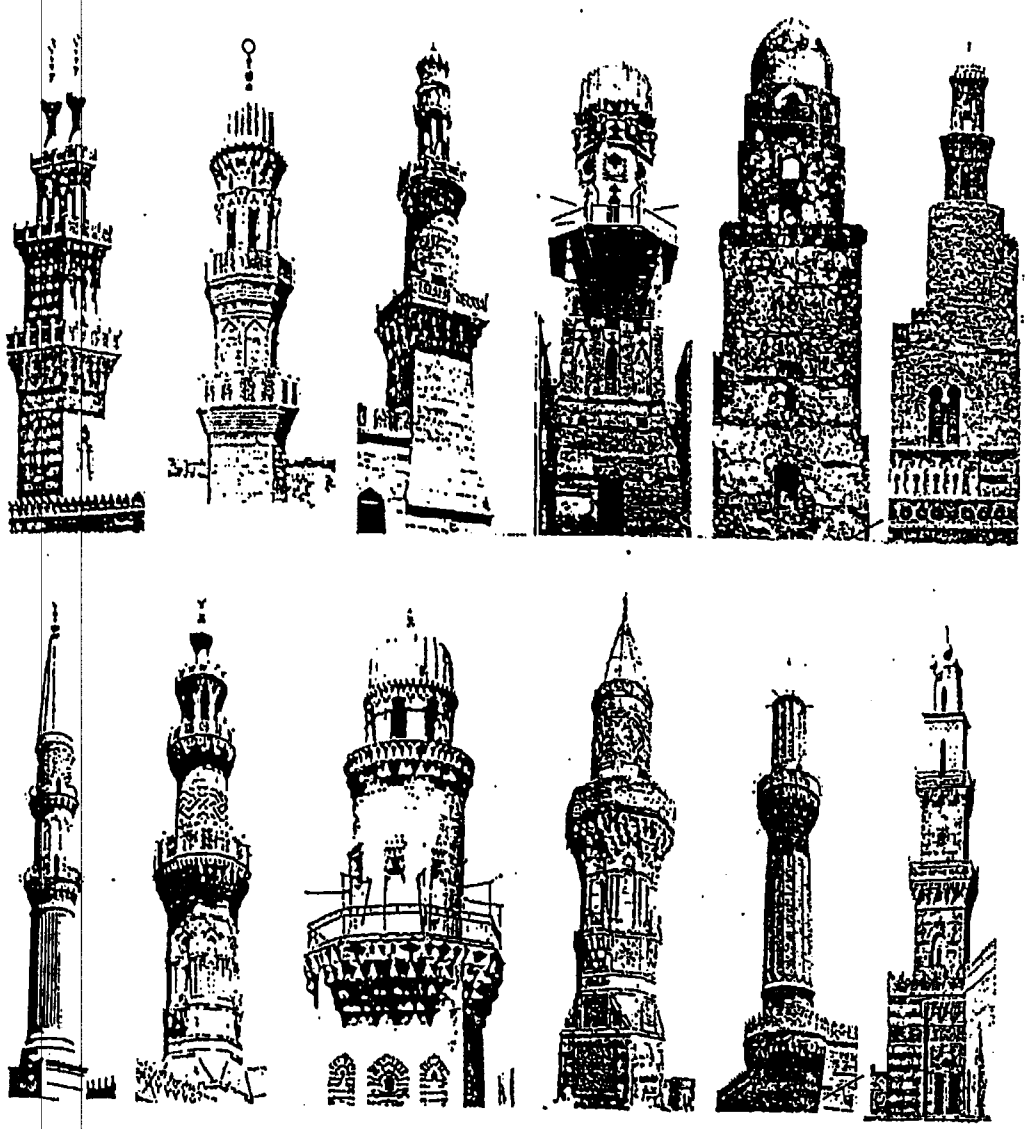

تنوع الشكل و توحد المضمون في العمارة و الفن الإسلاميين[1]

[1] عن"المرجع السابق " ص 193 .

و نفس هذا التنوع نجده في أشكال القباب و الأعمدة و الزخرفة و الخط و بذكر الخط العربي بأنواعه فان استخدامه في سائر العناصر المعمارية " يولد فينا ضربا من التالف غير العادي مع البناء ، يستحوذ على مشاعرنا عواطفنا و كان هناك روحا تنظم حركتها و تحدد كيفيتها .

إن هذه العملية الديناميكية المستمرة لطبيعتها تعد قيمة جمالية بحد ذاتها و هذا التكرار فيها هو معيار لإيقاع نلمح فيه نوعا من الحرارة المتدفقة ، و هكذا نلاحظ في الفنون العربية الإسلامية جماليات في المضامين و الإشكال الابتكارية المستقاة من الخبرة الذهنية ، فكل خبرة ذهنية لها طابعها الجمالي الخاص "[1] .

"لقد ساعدت بنية الخط العربي ، و ما تتمتع به من مرونة و طواعية و قابلية للمد و الرجع و الاستدارة و التزوية و التشابك و التداخل و التركيب و ما فيها من اختلاف في الوصل و الفصل على ارتقائه من خط للكتابة الوظيفية فحسب إلى فن جميل يتميز عن غيره من فنون الخط بقدرته على مسايرة التطورات و الخامات ، فتشكلت علاقة وثيقة بين كل نوع من أنواعه و المواد التي يكتب بها أو عليها ، فرأيناه لينا ينساب برشاقة و غنائية و رأيناه صلبا متزنا يشغل حيزه بجلال يمتد إلى ما حوله ، و رأينا الصلابة و اللين يتبادلان و يتناغمان فيه ، و في كل أحواله يشد الناظر و يمتعه بجمالياته الخاصة و تجريديته المتميزة "[2].

تقول فاطمة عبد الصمد : " إن عوامل هامة مثل العقيدة الإسلامية و قوة اللغة العربية كانت هامة في وجود الوحدة الروحية ، و الوحدة الجمالية في أعمال الفن الإسلامي"[3]

إن التنوع الجمالي يحول العناصر المتنوعة إلى ملحمة جمالية مترابطة و مؤكدة من خلال تنوعها و من خلال الوحدة الناتجة عن هذا التنوع و التي تمثل الكيان الأكبر الذي ينظمها و يجمع تنوعها " و كان تلك العناصر الفنية المتنوعة الهائلة من صنع الإنسان الفنان المسلم تستمد و تستلهم تنوعها الغزير من تنوع خلق الله اللانهائي في كل عنصر من عناصر الطبيعة و الكون و الإنسان و الحيوان و النبات حتى الحجر و الجبل و الهواء و الماء "[4] ، فقد خلق الله الإنسان اسود إفريقي و ابيض

[1] إياد الصقر ، " مرجع سبق ذكره" ، ص 38.
[2] أنصار محمد عوض الله رفاعي " مرجع سبق ذكره " ، ص 479.
[3] "المرجع نفسه" ، ص 198.
[4] "المرجع نفسه" ، الصفحة نفسها

اروبي و اصفر أسيوي و خلق في الكون ألاف الإزهار تختلف في الشكل و اللون و النوع و الحجم ، و تتوحد في شكل الساق و الأوراق و الطلع .

و خلق سبحانه في قاع البحر ما نعلم و ما لا نعلم من أنواع الأسماك صغيرها و كبيرها و جعلها رغم الاختلاف في شكلها تتوحد في الرأس و الجسم و الذيل و الزعانف . و من هنا يمكن أن نستخلص أن كل عنصر من عناصر الكون يتضمن بداخله الوحدة و التنوع في آن واحد ، الوحدة في مضمونه و التنوع في شكله ، حتى الأحجار تتوحد في المضمون و تتنوع في الشكل فنجد السوداء و البنية و الحمراء [1].

" لقد كون الفنان المسلم من خلال علاقة الجزء بالكل عالما متكاملا من الإشكال الإيقاعية الجمالية المستقلة عن الواقع و التي تولد أنغاما إيقاعية بصرية لا نهائية أكثر عمقا و أصالة من تلك التي أنتجت عبر الحضارات ، و ذلك لأنها تحمل مضامين فكرية عقائدية تطلبت للتعبير عنها نمطا خاصا من التعبير الفني المتميز ، و الذي نجح من خلاله الفنان في أن يوحد وظيفة الجزء (...) داخل الكل "[2]

و من الجدير بالذكر أن المفكرين المسلمين الذين تناولوا مفهوم الجمال و طبيعته و أنواعه قد تركوا لنا مادة جمالية ثرية تتسم بالعمق و الأصالة و التنوع و الوحدة معا مثلما نجد الوحدة تجمع و توحد كل التنوع في الفنون الإسلامية و ما نشا عنها من نظريات جمالية متعددة .يقول إسماعيل الفاروقي : " إن التجربة الروحية تأتي أساسا من الجوهر الإسلامي الذي يتحدد في التقرير بان لا اله إلا الله ، و بالتالي فان الوعي بالوحدة إنما هو المقصد المستهدف من وراء كل مسعى فان المسلمين يحيطون أنفسهم بكل ما من شانه أن يذكرهم بالله ، فان كل شيء داخل هذه الأمة يأخذ وجهته نحو الله ."[3]

إن الفن الإسلامي مليء بالرمز و الروحانية و التعبير المتسامي بالإنسان نحو الواحد المتعال، و إن فكرة الاقتباس عند الفنان المسلم في انتاجاته الفنية المتعددة من الكون لخير دليل على تكيف هذا الإنسان -المسلم- مع غيره من الكائنات التي خلقها الله من الأحياء و الجماد ، و التكيف مع كل هذه الكائنات ظاهرة صحية عند الفنان المبدع .

[1] ينظر : "المرجع السابق " ، ص 199.
[2] "المرجع نفسه" ، ص 215.
[3] "المرجع نفسه" ، ص 335.

خاتمة

خاتمة

بعد أن وصلنا إلى نهاية هذا البحث ، و مما سبق يتبين لنا أن المسجد ديوان أمة الإسلام ، و هو المنطلق إلى كافة مناحي المجتمع و هو عصب الأمة و قلبها النابض بالحياة .

فمن بين جدرانه تنطلق الكلمة البناءة الهادفة التي تنمي المواهب و تحصن الفرد، حتى تكون تلك اللبنة – الفرد المسلم – صحيحة قوية في بناء صرح الأمة الإسلامية ، لا سيما و قد تكالب عليها الأعداء من كل لون و جنس .

إن المسجد قائم ليصحح ركب البشرية ، و يمنحها زادها و تقواها ، و هذا ما قام به لما ربى بين جدرانه الرسول محمد صلى الله عليه و سلم جيل الصحابة و التابعين من بعدهم ، رباهم تربية عجيبة جعلتهم في ربع قرن يصنعون أكبر حضارة عرفتها الإنسانية .

فإذا كانت الكنائس و البيع قد بنيت لصلاة اليهود و النصارى ، فإن هذا المفهوم لا ينطبق على المساجد ، لأن علاقتها بالمجتمع أقوى من أن تقف عند خمس صلوات تؤدى في اليوم و الليلة ، ذلك أن المسجد في المجتمع المسلم جامعة شعبية تعلم جميع العلوم و المعارف ، فمن المسجد بدأ التعليم وانتشر العلم ، و إليه انتهى .

إن المكانة التي يشغلها المسجد في حياة الأمة الإسلامية جعلت عداءة أعداء الإسلام و حقدهم ينصب عليه من عهد النبي صلى الله عليه و سلم ببناء مسجد الضرار إلى يومنا هذا، و ما يفعله اليهود في المسجد الأقصى ، أولى القبلتين و ثالث الحرمين حاليا لخير دليل على ذلك. و ما زاد الطين بلة ما يفعله المسلمون و بنو جلدتنا عن قصد أو جهل بالمسجد ، من خلال تحويره عن مهامه و أدواره الفاعلة في المجتمع، والتي و إن عادت إليه – مكانته المسلوبة – سيفعلها من جديد .

إن المسجد المنشود الذي نأمل أن يكون في البلدان الإسلامية أو التي فيها الجماعات الإسلامية على نحو ما تصورنا أو على نحو أمثل منه و أحسن ، يتوقع له ، بل الأكيد أنه سيصلح من الأمة خاصة شبابها ، لأنه يحتفظ بالجوهر و يساير العصر ، و لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

خاتمة

و لأن المسجد القلب النابض للمدينة الإسلامية ، جعله المسلمون أول ما يختط في مدنهم الجديدة ، و مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو النموذج في عمارة المساجد ، و يأتي دوما- أي مسجد - في مركز المدينة لتحيط به الدور السكنية و غيرها من المرافق الاجتماعية .

لقد كان للفتوحات الإسلامية الأثر البارز في العمارة العربية الإسلامية لأن الإنسان العربي المسلم حمل عقيدته الإسلامية في قلبه و إيمانه بين يدين ووضعهما في أي بقعة حل بها أو ارتحل ، جاعلا بصمته الإسلامية ميزة للعمارة و الفن الإسلاميين . فقد جعل الفن عبادة لله ولكن بأسلوب جمالي ، و خلق جو الفردوس الذي يتوق إليه المؤمن خاصة و ساكن البادية القاحلة عامة في العمارة و الفن على حد سواء، و هذا ما جعل رئيس وفد الروم الذي جاء أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز من قبل إمبراطور الروم ، و رغب الوفد المرافق له في زيارة المسجد الأموي بعد إذن الخليفة ، جعله ينكس رأسه متأثرا بما رأى لما مر بصحن المسجد و رأى عظمة البناء و قال :" إنا – معشر الروم – كنا نتحدث بأن بقاء العرب قليل ، فلما رأيت ما بنوا علمت أنهم باقون مخلدون .

إذا كانت دولة الإسلام الأولى ، أول ما اختطت في عمرانها المسجد، و جعلت من عمارته المادية و المعنوية المنطلق ، فجدير بنا نحن اليوم ، وسط هذا التسارع الخطير لوسائل الإعلام و كثرة الأعداء أن نتوجه للمسجد من جديد ، نعيد له روحه و نحيا به و معه، لأن الإنطلاقة كانت منه و ستعود كذلك منه ولكن بنمط يساير العصر ويحتفظ بروح الأصل.

و الله من وراء القصد و هو الهادي إلى سواء السبيل .

تلمسان يوم 2012/06/18

مكتبة البحث

القران الكريم ، رواية حفص عن عاصم

قائمة المصادر و المراجع :

- إبراهيم بن محمد ، " آداب المسجد " ، دار الصحابة للتراث ، طنطا، ط 1 ، 1409ه / 1989م .
- احمد رجب محمد علي ، " المسجد النبوي بالمدينة المنورة و رسومه في الفن الإسلامي " ، الدار المصرية اللبنانية ، ط 1 ، 1420ه / 2000م .
- إياد الصقر ، " الفنون الإسلامية " ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع – عمان – الأردن ، ط 1 ، 1424 ه / 2003 م .
- أنصار محمد عوض الله رفاعي " الأصول الجمالية و الفلسفية للفن الإسلامي " ، مكتبة الإسكندرية ، 1423 ه / 2002 م .
- أنور الرفاعي ، " تاريخ الفن عند العرب و المسلمين " ، دار الفكر ، ط 2 ، 1397ه / 1977م .
- إسماعيل سامعي ، " معالم الحضارة العربية الإسلامية " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 2007 .
- باسم الصرايرة ، " استراتيجيات التعلم و التعليم النظرية و التطبيقية " ، عالم الكتب ، عمان ، ط 1 ، 2009 م .
- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، " لسان العرب ، دار صادر – بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1997 م ، المجلد 5 .
- هاني محمد القحطاني ، " مبادئ العمارة الإسلامية و تحولاتها المعاصرة – قراءة تحليلية في الشكل " مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت – لبنان ، ط 1 ، 2009 م .
- زيغريد هونكه ، " شمس العرب تسطع على الغرب - اثر الحضارة العربية في اوروبة "، نقله عن الألمانية فاروق بيضون – كمال دسوقي، راجعه و وضع حواشيه مارون عيسى الخوري ، دار الجيل- بيروت- ، دار الأفاق الجديدة- بيروت- ، ط8 ، 1413 ه / 1993 م .
- حنان قرقوتي ، " اللغة العربية و الخط و أماكن العلم و المكتبات ، الترجمة و أثارها " ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع – بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1427ه / 2006 م .
- حسين مؤنس ، " الحضارة – دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطورها " ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، ط 2 ، 1419ه / 1998 م .
- حسين مؤنس ، " المساجد " عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب – الكويت، 1981 م .

- يحيى احمد الكعكي ، " رسالة المسجد ، الوسطية و الاعتدال ... و الحضارة " دار النهضة العربية – بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1424ه / 2003م
- كريستي ارنولد برجز ، " تراث الإسلام في الفنون الفرعية و التصوير و العمارة " ، ترجمة زاكي محمد حسن ، دار الكتاب العربي ، سورية ، ط 1 ، 1984م .
- محمد الخطيب " تاريخ الحضارة العربية " دار علاء الدين للنشر و التوزيع و الترجمة - دمشق – سوريا ن ط 1 2007م .
- محمد حمزة إسماعيل الحداد ، " المجمل في الآثار و الحضارة الإسلامية" ، مكتبة زهراء الشرط – القاهرة – جمهورية مصر العربية ، ط 1 2006 م .
- محمد بن محمد العطوي ابن سمينة ، " أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد ابن باديس – المضمون و صورة التعبير " منشورات المجلس الإسلامي الأعلى – الابيار - الجزائر – 2007 ، الجزء الأول .
- محمود شيد خطاب " الوسيط في رسالة المسجد العسكرية " ، دار القران الكريم ، بيروت ، ط 7 ، 1401ه / 1981م .
- محمود شكر الجبوري، " بحوث و مقالات في الخط العربي " ، دار الشرق للطباعة و النشر ، ط1 ، 1426 ه/ 2005م.
- منصور الرفاعي عبيد ، " مكانة المسجد و رسالته " ، مكتبة الدار العربية – مدينة نصر – القاهرة ، ط 1 ، 1417ه / 1997 م .
- نبيلة حسن محمد ، " في تاريخ الحضارة الإسلامية " ، دار المعرفة الجامعية .
- نوبي محمد حسن ، " عمارة المسجد في ضوء القران و السنة " ، دار نهضة الشرق ، القاهرة ، ط 1 ، 2002 م.
- نزار علي الطرشاوي ، " مساجد حولت الى كنائس " ، دراسة تاريخية معمارية في الأندلس ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية للنشر و التوزيع ، اربد – الأردن - ، ط 1 2010م.
- سعاد ماهر ، " مساجد في السيرة النبوية " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1987م .
- عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي ، " المسجد رمز الصمود و التحدي " ، مكتبة الدار العربية للكتاب – مدينة نصر - القاهرة ، ط1 ، 1423ه /2002 م .
- عبد الكريم بكار ، " من اجل انطلاقة حضارية شاملة –أسس و أفكار في التراث الفكر و الثقافة و الاجتماع " دار القلم – دمشق - ، ط 3 ، 1426ه/ 2005م.
- عبد الرحمن حسن حمبكة الميداني ، " الحضارة الإسلامية ، أسسها و وسائلها و صورة من تطبيقات المسلمين لها و لمحات من تأثيرها في سائر الأمم " ، دار القلم – دمشق ، ط 1 ، 1418ه / 1998 م..

- علي الطنطاوي ، " الجامع الأموي في دمشق " ، دار المنارة للنشر و التوزيع – جدة – السعودية ، ط 1 ، 1410ه / 1990م .
- علي عبد الحليم محمود ، " المسجد و أثره في المجتمع الإسلامي " ، دار المنار الحديثة ، الخلفاوي – شبرا – مصر ، ط 4 ، 1412ه /1991م .
- عفيف البهناسي ، " علم الخط و الرسوم " دار الشرق للنشر ، دمشق، ط 1 ، 1425ه / 2004م.
- روجيه قارودي ، " وعود الإسلام " ، دار العالمية للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1404ه / 1984 م.
- روجيه قارودي ، " حوار الحضارات " ، تعريب عادي للعوا ، عويدات للنشر و الطباعة ، بيروت – لبنان ، ط 6 ، 2007م.
- رحيم جبر احمد الحسناوي ، " المناظرات اللغوية و الأدبية في الحضارة العربية الإسلامية " ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، - عمان – الأردن ، ط 1 ، 1999م.
- ثروت عكاشة ، " القيم الجمالية في العمارة الإسلامية " ، دار الشروق – القاهرة ، ط 1 ، 1414 ه / 1994م.

المواقع الالكترونية :

- جامع عقبة بن نافع . ويكيبيديا . الموسوعة الحرة .
- Ar.wikipedia.org
- S-may.net
- http://fashion.azyya.com/91445.html.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان الصفحة

مقدمة ..... أ

المدخل .....

- تعريف المسجد 02
- تعريف الحضارة 06
- تعريف الثقافة 07
- تعريف القيمة 09

الفصل الأول : وظيفة المسجد التربوية و العلمية .....

المبحث الأول : دور المسجد التربوي في بناء المجتمع الإسلامي.....

- المسجد ديوان امة الإسلام 13
- المسجد نبع التربية 15
- المسجد مؤسسة اجتماعية 18

المبحث الثاني : دور المسجد العلمي في الانبعاث الحضاري .....

- مكانة العلم و العلماء في دولة الإسلام 23
- المسجد أول المنشات التعليمية.....26
- المدرسة وليدة المسجد 29
- التعليم من المسجد بدأ و إليه انتهى 31

الفصل الثاني : أعداء المسجد و الإسلام .....

المبحث الأول : أعداء المسجد بين الأمس و اليوم .....

- مسجد الضرار أول مسجد معاد للإسلام 38
- الحرب مستمرة على المسجد 40

المبحث الثاني : المسجد المنشود لنهضة الأمة .....

- المسجد المنشود في البلدان الإسلامية 49
- واجبنا نحو المسلمون في الشتات 53

الفصل الثالث : بنية المسجد حضارية.....

المبحث الأول : عمارة المسجد البنائية بين الثوابت و المتغيرات.....

- التعريف بالعمارة العربية الإسلامية 57
- العناصر الرئيسة في عمارة المسجد 65
- العناصر الإضافية على عمارة المسجد..... 71

المبحث الثاني : رحلة المسجد في عالم الفن و الجمال .....

- ظهور الفن الإسلامي العربي و تطوره 84
- التوحيد كحقيقة فكرية و انعكاسه جماليا في الفن الإسلامي 87
- الوحدة و التنوع في الفن الإسلامي 92

خاتمة 98
مكتبة البحث 101
فهرس الموضوعات 105